

تحفة الطلاب
ببيان أمثال الكتاب

الجزء الأول

(من نور العينين ببيان
أمثال الوحيين)

تأليف

أبي اليمان عدنان بن حسين المصقري

تقديم فضيلة الشيخ

أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري

رعاه الله

مكتبة دار الحديث

حَقُوقُ الطَّبَعِ مَحْفُوظَةٌ
الطبعة الأولى

٢٠١٦ / ١٤٣٧

مكتبة دار الحديث
تنزانيا

مسجد الألباني
دار السلام
تنزانيا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة شيخنا المحدث العلامة

يحيى بن علي الحجوري

حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الأول والآخر والظاهر والباطن، أمد من شاء من عباده بمعرفة الحق من الباطل بدلائل الحجج والأشباه والنظائر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم تبلى السرائر.

أما بعد:

فقد قرأت كثيراً من كتاب «نور العينين ببيان أمثال الوحيين» لأخينا الفاضل الشيخ عدنان المصقري حفظه الله فرأيت البحث:

- اشتمل نصفه الأول على ذكر أمثلة القرآن الكريم مع ذكر تفسيرها وتيسير فقهاها؛

- واشتمل نصفه الأخير على ذكر أمثلة كثير من صحاح السنة مع نقل شروحيها.

فصار الكتاب المذكور بذلك مفيداً فائدة عظيمة، جزى الله مؤلفه خيراً ونفع به.

كتبه/ يحيى بن علي الحجوري

في جماد الثاني ١٤٢٩ هـ

مُقَدِّمَاتُهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل

عمران].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ءَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ

﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت].

وقال الله تعالى: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ لِلْأَمْثَلِ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾ [الفرقان].

وقال الله تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ [٤٥] [إبراهيم].

فما حث الله على العلم به ومدح العالمين به وأكثر من ذكره في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ هو المثل الذي يقرب المعنى ويفهم المراد ويؤكد المطلوب، وهو من المطلوب فهمه واستنباط الفوائد منه.

فعلم الأمثال من علم العربية المهم.

وبعض الأشياء لا تعرف إلا بمثلها، كالقيراطين لما سأل الصحابة رسول الله ﷺ عنهما قال: مثل الجبلين العظيمين.

وقد ذكر بعض الفقهاء أن معنى قول الله تعالى: ﴿مِنهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

لأن المحكمات الأمر والنهي والمتشابهات القصص والأمثال.

قلت: وهو بعيد، والصواب أن المتشابهات ما اشتبه علينا علمه سواء مما علمه العلماء أو مما لم يعلموه ك﴿الذَّٰرِ﴾ و﴿الرَّ﴾...، والمحكم ما كان معلوماً بيناً.

وقد خاطب رسول الله ﷺ ربه ودعاه بمثال كقوله ﷺ: «اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف».

وكقوله: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم».

وقد نقل ابن جحر [في (٢/٤٨) من «الفتح»] عن إمام الحرمين أنه قال: «إن الأحكام لا تؤخذ من الأحاديث التي تأتي لضرب الأمثال».

قلت: والصواب خلافه، فإن العلماء قديماً وحديثاً لا يزالون يستنبطون الأحكام والفوائد من أحاديث الأمثال، وليست من وضع البشر وإنما هي من رسول حكيم ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) ﴾ [النجم].

تنبيهٌ وأركان المثل أربعة:

١- المشابهة.

٢- المشبه به.

٣- أداة التشبيه.

٤- وجه الشبه.

فلا بد من وقوع الأول والثاني، وإذا حذف الأداة يسمى مرسلًا، وإن حذف وجه الشبه يسمى مجملًا.

ويذكر علماء البلاغة في أول مباحث علم البيان أن المثل يعد من أعلى البلاغة وأدواتها:

- أدوات الأمثال:

١. مثل.

٢. الكاف.

٣. كمثل.

قال أبو عبيد [كما في «المزهر» (١/١٥٣)]: «الأمثال حكمة العرب في الجاهلية

والإسلام، وبها كانت تعاوض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق
بكناية غير تصريح، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى،
وحسن التشبيه، وقد ضربها النبي ﷺ، وتمثل بها هو ومن بعده من السلف».

وقال الفارابي [في «ديوان الأدب»]: «المثل ما تراضاه العامة والخاصة في لفظه
ومعناه حتى ابتذله فيما بينهم، وفاهوا به في السراء والضراء، واستدروا به الممتنع
من الدر، ووصلوا به إلى المطالب القصية، وتفرجوا به عن الكرب والمكربة، وهو
من أبلغ الحكمة، لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة، أو غير
مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة» اهـ.

قاعدة: الأمثال لا تغير، بل تجري كما جاءت؛ قال ابن دريد في الجمهرة وابن
خالويه: كانت نساء الأعراب يؤخذن الرجال بخزرة، يقلن: يا قبلة اقبله ويا
كرار كرية أعيذه بالينجلب. هكذا جاء الكلام وإن كان ملحوناً، لأن العرب
تجري الأمثال على ما جاءت، ولا تستعمل فيها الإعراب. [انظر «المزهر»
(١/١٥٤)].

والمراد بالمثل هنا: الحكم التي تقاس عليها الأشياء.

وقال ابن قتيبة: «المثل الشبه في أصل اللغة، ثم قد يصير بمعنى صورة الشيء
وصفته، يقال: مثلت لك كذا أي: صورته ووصفته».

قال ابن القيم رحمه الله [كما في «شرح الأمثال» (ص/٩)]: «أمثال القرآن لا يعقلها
إلا العالمون، وإنها شبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس أو

أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر».

وفهم الأمثال يعين على قوة الإيثار والتوحيد.

ولذا قال القرطبي رحمته الله [في تفسيره (٢٣/١٤)] عند قول الله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٨].

﴿أَيْمَانُكُمْ﴾ الآية، فيجب أن يقولوا: ليس عبيدنا شركاءنا فيما رزقنا. فيقال لهم: فكيف يتصور أن تنزهوا نفوسكم عن مشاركة عبيدكم وتجعلوا عبيدي شركائي في خلقي؟ فهذا حكم فاسد وقلة نظر وعمى قلب، فإذا بطلت الشركة بين العبيد وساداتهم فيما يملكه السادة، والخلق كلهم عبيد لله تعالى، فيبطل أن يكون شيء من العالم شريكا لله تعالى في شيء من أفعاله، فلم يبقى إلا أنه واحد يستحيل أن يكون له شريك؛ إذ الشركة تقتضي المعاونة، ونحن مفتقرون إلى معاونة بعضنا بعضا بالمال والعمل، والتقديم الأزلي منزه عن ذلك جل وعز، وهذه المسألة أفضل للطلاب من حفظ ديوان كامل في الفقه لأن جميع العبادات البدنية لا تصح إلا بتصحيح هذه المسألة في القلب فافهم ذلك» اهـ.

قال ابن القيم رحمته الله [في «مفتاح دار السعادة» (١/٦١)] بعد أن ذكر المثل في سورة الرعد: «فهذا بعض ما في هذا المثل العظيم من العبر والعلم، قال الله تعالى:

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [٤٢]

[العنكبوت].»

قال الشوكاني رحمته الله في «فتح القدير» (١/٤٢): «وقد تقرر عند علماء البلاغة أن لضرب الأمثال شأناً عظيماً في إبراز خفيات المعاني، ورفع أستار محجبات الدقائق، ولهذا استكثر الله من ذلك في كتابه العزيز، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من ذلك في مخاطباته، ومواعظه».

وقال الشوكاني رحمته الله في «فتح القدير» (٥/٢٦٢): ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ﴾ [الفرقان: ٩]، ليتوصلوا بها إلى تكذيبك، والأمثال هي: الأقوال النادرة».

قلت: ومعنى الأمثال هنا: حكم العرب.

وقال رحمته الله في «فتح القدير» (٥/٢٢٣): ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ﴾ أي: يبين الأشياء بأشباهها، ونظائرها تقريباً لها إلى الأفهام وتسهيلاً لإدراكها، لأن إبراز المعقول في هيئة المحسوس، وتصويره بصورته يزيده وضوحاً وبيانا والله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ [النور]، لا يغيب عنه شيء من الأشياء معقولاً كان أو محسوساً، ظاهراً، أو باطناً».

وقال رحمته الله في «فتح القدير» (٤/١٤٤): «وفي ضرب الأمثال زيادة تذكير وتفهم وتصوير للمعاني».

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٥٩﴾ [آل عمران].

وكقوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [آل عمران].

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أََعْمَلُهُمْ كَرَمًا إِشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَافُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ [إبراهيم].
أو الكاف كقوله تعالى: ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة].

أو بدونها وهذا غير موجود في الوحيين إلا نادراً كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمْ وَبُكِّمُ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام].

قال ابن كثير رحمته الله: «وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمْ وَبُكِّمُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي: مثلهم في جهلهم وقلة علمهم وعدم فهمهم كمثل أصم - وهو الذي لا يسمع - أبكم - وهو الذي لا يتكلم - وهو مع هذا في ظلام لا يبصر، فكيف يهتدي مثل هذا إلى الطريق، أو يخرج مما هو فيه؟ كما قال تعالى ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِينَ اسْتَوْقَدُوا نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُمْ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧٧﴾ صُمْ بِكُمْ عَمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة].»

قلت: ولا مانع أن يكون هذا حقيقة وليس بمثل. كقول الله: ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمَْىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يونس].

وقول الله تعالى: ﴿ وَمَا آتَتْ بِهَدْيِ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ سَمِعُوا إِلَّا مَنْ يُوْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [النمل].

وقول الله تعالى: ﴿ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الضَّمَرَ أَوْ تَهْدِي الْعُمَىٰ وَمَنْ كَانَتْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزخرف].

وهو نادر كقولهم: ليلي قمر، أي كالقمر.

وعلى الضارب للأمثال أن لا يتكلم بمثل إلا وقد علم مطابقته للواقع ويتحرى فيه الصدق وحصول المشابهة بين المثل والممثل له والمثل به.

وبعض الأشياء لا يوافقها مثل ولا يماثلها شيء، كما قال ﷺ [في «صحيح مسلم» (٨١٤)] عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أَنْزَلَتْ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ».

تنبيه: الكاف تأتي بمعنى التمثيل والتشبيه، ولم أر للذين كتبوا في الأمثال ذكر ذلك مع أنها من الباب قطعاً.

كقول الرسول ﷺ: «العائد في هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه»، مع أنه قد رواها جماعة بلفظ: «مثل العائد في هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه».

كما روى مسلم رحمته الله (١٦٢٢) عن ابن عباس، يقول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّمَا مِثْلُ الَّذِي يَتَصَدَّقُ بِصَدَقَةٍ، ثُمَّ يَعُودُ فِي صَدَقَتِهِ، كَمِثْلِ الْكَلْبِ يَقِيءُ، ثُمَّ يَأْكُلُ قَيْئَهُ».

وروي باللفظ السابق، فما الفرق بين مثل الذي يعمل كذا ككذا... وبين قوله:
الذي يعمل كذا ككذا؟؟.

وقد هداني ربي لمحبة العلم بمعاني الأمثال من تفاسير وشروح العلماء عملاً
بقول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾
﴿٤٣﴾ [العنكبوت].

فرايت أن أجمعها في بحث مستقل، فعزمت على ذلك بتوفيق الله فجمعت
أمثال القرآن ومررت على صحيح البخاري ومسلم والصحيح المسند والسلسلة
الصحيحة للألباني رَحِمَهُمُ اللَّهُ جميعاً، فجمعت ما رأيت في الباب صحيح الإسناد،
وقد كنت شرحت تلك الأمثال، ثم رغبت عن كثرة الحواشي خشية الإطالة،
فعمدت إلى الاختصار، واكتفيت بأن أضفت كلام المفسرين والشراح والعلماء
على الآية، أو الحديث، لكون سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين ومن سار على
سيرهم أعلم بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ منا بل وأفهم منا وأحكم منا رَحِمَهُمُ اللَّهُ،
وأرجو أنه لم يسبقني أحد إلى مثل هذا العمل في الباب الذي أسأل الله أن ينفعني به
والمسلمين وأن يوفقنا وجميع المسلمين إلى كل خير وبر.

وجعلته قسمين فهذا القسم الأول الذي هو أمثال القرآن.

والحمد لله رب العالمين.

ونسأل الله أن يعيننا على العلم بالحق وفهمه والعمل به.

ذكر بعض الكتب في الباب ومن كتب في باب الأمثال التشبيهية والحكمية:

- كتاب الأمثال في القرآن الكريم، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي.
- كتاب الأمثال في القرآن الكريم، لابن القيم الجوزية، جمع غيره.
- الأمثال القرآنية القياسية، للجربوع.
- كتاب مجمع الأمثال، للميداني.
- كتاب الأمثال، للمفضل الضبي.
- كتاب الأمثال، لمؤرج السدوسي.
- كتاب فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، لأبي عبيد البكري.
- كتاب أمثال العرب، للمفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي.
- كتاب أمثال الحديث، لأبي الشيخ الأصبهاني.
- كتاب أمثال الحديث المروية عن النبي ﷺ، لأبي الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي.
- كتاب الأمثال في الحديث النبوي، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان.
- كتاب الأمثال من الكتاب والسنة، لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي.
- أمثال كتاب مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري.
- الأمثال النبوية، للعلامة الألباني رحمته الله ذكر في ترجمته.

- كتاب المستقصى في أمثال العرب، للزنجشيري؛ واحذر منه فإنه معتزلي جلد.

- كتاب جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري.

- كتاب الأمثال، لأبي عبيد بن سلام.

- كتاب زهر الأكم في الأمثال والحكم، للآليوسي.



كلمة شكر

وقبل الشروع في الموضوع أحمد الله ربي عَزَّوَجَلَّ وأشكره الذي وفقني للسنة والتمسك بها والذي منّ علينا بطلب العلم، والحمد لله الذي جعل لنا علماء على المنهج الصحيح.

وأشكر كذلك شيخنا الوالد الناصح الأمين، والقوال بالحق الغيور على دين الله عَزَّوَجَلَّ أبا عبد الرحمن يحيى الحجوري جزاه الله خيراً، على بذله جهده في العلم والدعوة وجهاد البدع وأهلها.

وكذلك أشكر والدنا المعلم للجميع المربي على الحق أبا عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللهُ وأسكنه أعلى وأفضل جناته.

وأشكر أيضاً والدائي العزيزين اللذين بذلا جهدهما في طلبي للعلم، وربياني على السنة وبغض البدعة، ودفعاني لطلب العلم.

وأشكر أخي العزيز أبا زكرياء عبد الحكيم بن حسين المصقري.

على جهده في كتابة البحث على الجهاز، فجزاهم الله خيراً وكل من أعان على الخير ونشره.

والحمد لله رب العالمين.

وتم في (٣٠ ربيع الثاني ١٤٢٩هـ).



الفصل الأول: أمثال القرآن كتاب الله الكريم

باب بيان قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ

الْإِنْسَانُ أَكْثَرِ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ ﴿٥٤﴾ [الكهف]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (٤٨ / ١٨) : «ولقد مثلنا في هذا القرآن للناس من كل مثل، ووعظناهم فيه من كل عظة، واحتجنا عليهم فيه بكل حجة ليتذكروا فينبوا، ويعتبروا فيتعتوا، وينزجروا عما هم عليه مقيمون من الشرك بالله وعبادة الأوثان.

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرِ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ يقول: وكان الإنسان أكثر شيء وراء وخصومة، لا ينيب لحق، ولا ينزجر لموعظة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَكَانَ

الْإِنْسَانُ أَكْثَرِ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ قال: الجدل: الخصومة». **قلت: إسناده صحيح.**

وقال ابن كثير رحمته الله (١٧١ / ٥) : «يقول تعالى: ولقد بينا للناس في هذا القرآن، ووضحنا لهم الأمور، وفصلناها، كيلا يضلوا عن الحق، ويخرجوا عن طريق الهدى. ومع هذا البيان وهذا الفرقان، الإنسان كثير المجادلة والمخاصمة والمعارضة للحق بالباطل، إلا من هدى الله وبصره لطريق النجاة.

علي بن أبي طالب أخبره، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرده وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة، فقال: «ألا تصليان؟». فقلت: يا رسول الله، إنما أنفشنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا. فانصرف حين قلت ذلك، ولم يرجع إلي شيئاً، ثم سمعته وهو مولّ

يضرب فخذَه، ويقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ ﴿أخرجاه في الصحيحين﴾. رواه أحمد.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى

أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ ﴿٨٩﴾ [الإسراء]

وقال ابن جرير الطبري رحمته الله (١٧ / ٥٤٨): «يقول ذكره: ولقد بينا للناس في هذا القرآن من كلِّ مثل، احتجاجا بذلك كله عليهم، وتذكيرا لهم، وتنبها على الحق ليتبعوه ويعملوا به.

﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ يقول: فأبى أكثر الناس إلا جحودا للحق، وإنكارا لحجج الله وأدلته».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر]

قال ابن جرير الطبري (٢٣ / ٣٠٠): «يقول جل ثناؤه: لو أنزلنا هذا القرآن على جبل، وهو حجر، لرأيتَه يا محمد يا خاشعًا؛ يقول: متذللًا متصدعًا من خشية الله على قساوته، حذرًا من أن لا يؤدي حق الله المفترض عليه في تعظيم القرآن.

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ يقول تعالى ذكره: وهذه الأشياء نشبهها للناس، وذلك تعريفه جل ثناؤه إياهم أن الجبال أشدَّ تعظيمًا لحقه منهم مع

قساوتها وصلابتها.

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يقول: يضرب الله لهم هذه الأمثال ليتفكروا فيها، فينبوا، وينقادوا للحق».

وقال ابن كثير رحمته الله: (٧٨ / ٨) : «يقول تعالى معظمًا لأمر القرآن، ومبينًا علو قدره، وأنه ينبغي وأن تخشع له القلوب، وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد والوعيد الأكيد: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أي: فإن كان الجبل في غلظته وقساوته، لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه، لخشع وتصدع من خوف الله، عز وجل، فكيف يليق بكم أيها البشر ألا تلين قلوبكم وتخشع، وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه؟ ولهذا قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا

إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (٤٣) [العنكبوت]

قال الحافظ ابن كثير (٢٧٩ / ٦) : «ثم قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ أي: وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتصلعون منه».

وقال ابن جرير الطبري (٣٩ / ٢٠) : «وقوله: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا

لِلنَّاسِ ﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ: وَهَذِهِ الْأَمْثَالُ، وَهِيَ الْأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ، ﴿ نَضْرِبُهَا
لِلنَّاسِ ﴾ يَقُولُ: نَمَثِّلُهَا وَنَشَبِّهُهَا وَنَحْتَجِّجُ بِهَا لِلنَّاسِ، كَمَا قَالَ الْأَعْمَشِيُّ:

هَلْ تَذْكُرُ الْعَهْدَ مِنْ تَنْمَصَّ إِذْ تَضْرِبُ لِي قَاعِدًا بِهَا مَثَلًا

﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ: وَمَا يَعْقِلُ أَنَّهُ أُصِيبَ بِهَذِهِ

الأمثال التي نضربها للناس منهم الصواب والحق فيما ضربت له مثلاً ﴿ إِلَّا
الْعَالِمُونَ ﴾ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ.

وَقَالَ الْبَغَوِيُّ (٦ / ٢٤٣): ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ ﴾ الْأَشْبَاهُ وَالْمَثَلُ: كَلَامٌ سَائِرٌ
يَتَضَمَّنُ تَشْبِيهَ الْآخِرِ بِالْأَوَّلِ، يَرِيدُ: أَمْثَالُ الْقُرْآنِ الَّتِي شَبَّهَ بِهَا أَحْوَالَ كُفَّارِ هَذِهِ
الْأُمَّةِ بِأَحْوَالَ كُفَّارِ الْأُمَّمِ الْمَتَّقِمَةِ، ﴿ نَضْرِبُهَا ﴾ نَبِينَهَا، ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ قَالَ مِقَاتِلُ:
لِكُفَّارِ مَكَّةَ، ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ أَي: مَا يَعْقِلُ الْأَمْثَالَ إِلَّا الْعُلَمَاءُ
الَّذِينَ يَعْقِلُونَ عَنِ اللَّهِ.

قَالَ الشُّوكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٥ / ٤٤٣): ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ﴾ أَي
هَذَا الْمَثَلُ، وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَمْثَالِ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ تَنْبِيهًا لَهُمْ، وَتَقْرِيبًا لِمَا
بَعْدَ مِنْ أَفْهَامِهِمْ ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا ﴾ أَي يَفْهَمُهَا وَيَتَعَقَّلُ الْأَمْرَ الَّذِي ضَرَبْنَاهَا
لِأَجْلِهِ ﴿ إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ بِاللَّهِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ الْمَتَدَبِّرُونَ الْمُتَفَكِّرُونَ لِمَا يَتَلَى
عَلَيْهِمْ وَمَا يَشَاهِدُونَهُ.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾

[الفرقان] ﴿٣٩﴾

وقال الطبري رحمته الله: (٢٧٢ / ١٩): «وقوله: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ يقول تعالى ذكره: وكل هذه الأمم التي أهلكتها التي سمينها لكم أو لم نسمها ضربنا له الأمثال يقول: مثلنا له الأمثال ونبهناها على حججنا عليها، وأعدرنا إليها بالعبر والمواعظ، فلم نهلك أمة إلا بعد الإبلاغ إليهم في المعذرة».

وقال ابن كثير رحمته الله: (١١٢ / ٦): «﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ أي: بينا لهم الحجج، ووضحنا لهم الأدلة كما قال قتادة: أزحنا عنهم الأعدار ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ أي: أهلكتنا إهلاكاً، كقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ١٧].»

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ

سَبِيلًا﴾ [الإسراء] ﴿٤٨﴾

ومعنى الأمثال هنا الأشباه والتشبيه بها لا يليق.

قال الطبري رحمته الله: (٤٦٢ / ١٧): «يقول تعالى ذكره: انظر يا محمد بعين قلبك فاعتبر كيف مثلوا لك الأمثال، وشبهوا لك الأشباه، بقولهم: هو مسحور، وهو شاعر، وهو مجنون».

﴿فَضَلُّوا﴾ يقول: فجاروا عن قصد السبيل بقليلهم ما قالوا.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ يقول: فلا يهتدون لطريق الحق لضلالهم عنه وبعدهم منه، وأن الله قد خذلمهم عن إصابته، فهم لا يقدرّون على المخرج مما هم فيه من كفرهم بتوفيقهم إلى الإيمان به.

وقال السعدي رحمته الله (٤٥٩): «قال تعالى: ﴿أَنْظُرْ﴾ متعجبا ﴿كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ التي هي أضل الأمثال وأبعدها عن الصواب ﴿فَضَلُّوا﴾ في ذلك أو فصارت سببا لضلالهم لأنهم بنوا عليها أمرهم والمبني على فاسد أفسد منه.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ أي: لا يهتدون أي اهتداء فنصيبيهم الضلال المحض والظلم الصرف».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْمُونَ﴾

[النحل]

قال ابن كثير رحمته الله (٥٨٨/٤): «يقول تعالى إخبارا عن المشركين الذين عبدوا معه غيره، مع أنه هو المنعم المتفضل الخالق الرازق وحده لا شريك له، ومع هذا يعبدون من دونه من الأصنام والأنداد والأوثان ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا﴾ أي: لا يقدر على إنزال مطر ولا إنبات زرع ولا شجر، ولا يملكون ذلك، أي: ليس لهم ذلك ولا يقدرّون عليه لو أرادوه، ولهذا قال تعالى ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ أي: لا تجعلوا له أندادا وأشباها وأمثالا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْمُونَ﴾ أي: أنه يعلم ويشهد أنه لا إله إلا الله وأنتم

بجهلكم تشركون به غيره».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكِنٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ

وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ ﴿٤٥﴾ [إبراهيم]

قال الطبري رحمه الله: (٣٧ / ١٧) : «يقول تعالى ذكره: وسكنتم في الدنيا في

مساكن الذين كفروا بالله، فظلموا بذلك أنفسهم من الأمم التي كانت قبلكم.

﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ يقول: وعلمتم كيف أهلكناهم حين

عتوا على ربهم وتمادوا في طغيانهم وكفرهم.

﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ يقول: ومثلنا لكم فيما كنتم عليه من الشرك بالله

مقيمين الأشباه، فلم تنبوا ولم تتوبوا من كفركم، فالآن تسألون التأخير للتوبة

حين نزل بكم ما قد نزل بكم من العذاب، إن ذلك غير كائن».

وقال ابن كثير (٥١٦ / ٤) : ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكِنٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ

وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ أي: قد رأيتم

وبلغكم ما أحللنا بالأمم المكذبة قبلكم، ومع هذا لم يكن لكم فيهم معتبر، ولم

يكن فيما أوقعنا بهم مزدجر لكم ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْنُذُرُ﴾ ﴿٥٥﴾

[القمر]».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْهُهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح]

مثل الله تعالى محمداً رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - بأبي هو وأمي - ومن معه من أصحابه المؤمنين رضوان الله عليهم أجمعين فقال: ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ أي علاماتهم.

وقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ﴾ أي صفتهم فالمثل هنا الصفة، كما قاله الشوكاني رحمه الله.

والسيما في الآية قيل: العلامة في الجبهة، وقيل الصفرة، وقيل الوضاعة وهو الصواب.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ ﴾ قيل هذا المثل في التوراة والإنجيل وقيل في الإنجيل فقط على أن الواو استثنائية وهو الصواب.

﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْهُهُ ﴾ أي طرفه.

﴿ فَتَازَرَهُ ﴾ أي قواه وشده، قيل الشطأ قوي الزرع وقيل الزرع قوي الشطأ.

وقوله: ﴿فَاسْتَعْلَظْ﴾ أي صار الزرع غليظا.

﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ أي فاستقام على أعواده، والسوق جمع ساق.

وقوله: ﴿يُعْجِبُ الزَّرْعَ لِيَغِيظَ...﴾ أي يعجب الزارع هذا لقوله.

وقوله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ أي جعلهم الله كهذه الصفة ليغيب بهم الكفار.

[انظر «تفسير الشوكاني»].

وقال: وهذا مثل ضربه الله لأصحاب النبي ﷺ وأنهم يكونون في الابتداء قليلاً ثم يزدادون ويكثرون كالزرع، فإنه يكون في الابتداء قليلاً حالاً بعد حال حتى يغلظ ساقه.

ويدل لهذا المعنى حديث أبي سفيان، وقول هرقل لهم: «قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ. قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخَطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لَا».

قلت: فالمثل الأول في الآية صفة، والثاني مثل على استمرار رسول الله في أصحابه في الدعوة وتدرجهم في الشدة والقوة، ففيه إشارة إلى عدم التعجل والتأني وأن أهل الحق يزدادون ويشتدون في الحق إلى يوم القيامة.

وقال ابن كثير رحمته الله (٧/ ٣٦٠): «ينجز تعالى عن محمد صلوات الله عليه، أنه رسوله حقا بلا شك ولا ريب، فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾، وهذا مبتدأ وخبر، وهو مشتمل على كل وصف جميل، ثم ثنى بالثناء على أصحابه فقال: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾»

﴿سَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديداً عنيفاً على الكفار، رحيماً براً بالأخيار، غضوباً عبوساً في وجه الكافر، ضحوكاً بشوشاً في وجه أخيه المؤمن، كما قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَانِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣]، وقال النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمي والسهر».

وقال مالك، رَحِمَهُ اللهُ: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون: «والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا». وصدقوا في ذلك، فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ، وقد نوه الله بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾.

ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ - في رواية عنه - بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة، قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية. ووافق طائفة من العلماء على ذلك. والأحاديث في فضائل الصحابة والنهي عن التعرض لهم بمساءة كثيرة، ويكفيهم ثناء الله عليهم، ورضاه عنهم.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ (١/٧٩٥): «يجبر تعالى عن رسوله ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار، أنهم بأكمل الصفات، وأجل الأحوال، وأنهم ﴿أَشَدَّاءُ عَلَى

الكُفَّارِ ﴿ أَي: جادون ومجتهدون في عداوتهم، وساعون في ذلك بغاية جهدهم، فلم يروا منهم إلا الغلظة والشدّة، فلذلك ذلّ أعداؤهم لهم، وانكسروا، وقهرهم المسلمون، ﴿ رَحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ ﴾ أَي: متحابون متراحمون متعاطفون، كالجسد الواحد، يجب أحدهم لأخيه ما يجب لنفسه، هذه معاملتهم مع الخلق، وأما معاملتهم مع الخالق فإنك ﴿ تَرَنَّهُمْ رُكْعًا سَجْدًا ﴾ أَي: وصفهم كثرة الصلاة، التي أجل أركانها الركوع والسجود.

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (٢٢ / ٢٦٠): «يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ﴾ [الفتح: ٢٨]، الذي أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وآله بالبيان الواضح، ودين الحق، وهو الإسلام؛ الذي أرسله داعيا خلقه إليه.

﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ [الفتح: ٢٨]، يقول: ليبطل به الملل كلها، حتى لا يكون دين سواه، وذلك كان كذلك حتى ينزل عيسى ابن مريم، فيقتل الدجال، فحينئذ تبطل الأديان كلها، غير دين الله الذي بعث به محمدا صلى الله عليه وآله، ويظهر الإسلام على الأديان كلها».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ

الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ [النحل]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (١٧ / ٢٢٩): «وهذا خبر من الله جل ثناؤه أن قوله: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [النحل: ٥٨]، والآية التي بعدها مثل ضربه الله لهؤلاء المشركين الذين جعلوا لله البنات، فبين بقوله:

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ﴾ أنه مثل.

وعني بقوله جل ثناؤه: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ للذين لا يصدقون بالمعاد والثواب والعقاب من المشركين، ﴿مَثَلُ السَّوِّءِ﴾ وهو القبيح من المثل، وما يسوء من ضرب له ذلك المثل.

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ يقول: والله المثل الأعلى، وهو الأفضل والأطيب، والأحسن، والأجمل، وذلك التوحيد والإذعان له بأنه لا إله غيره.

وقال ابن كثير رحمته الله (٤/ ٥٧٨): «كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الزخرف]، وقال هاهنا: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ﴾ أي: النقص إنما ينسب إليهم، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ أي: الكمال المطلق من كل وجه، وهو منسوب إليه، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿بَتَّأْيُهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ [الحج]

ضرب الله تعالى مثلاً هنا وأمرنا باستماعه، ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾

ضَعَفَ الظَّالِمُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾

قال ابن كثير رحمته الله (٤٥٣ / ٥) : «يقول تعالى منبها على حقارة الأصنام وسخافة عقول عابديها: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ﴾ أي: لما يعبد الجاهلون بالله المشركون به، ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ أي: أنصتوا وتفهموا، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ أي: لو اجتمع جميع ما تعبدون من الأصنام والأنداد على أن يقدروا».

وقال ابن جرير الطبري رحمته الله (٦٨٥ / ١٨) : «يقول تعالى ذكره: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ جعل لله مثل وذكر.

ومعنى ﴿ضُرِبَ﴾ في هذا الموضع: جعل من قولهم: ضرب السلطان على الناس البعث، بمعنى: جعل عليهم. وضرب الجزية على النصراني، بمعنى جعل ذلك عليهم؛ والمثل: الشبه، يقول جل ثناؤه: جعل لي شبه أيها الناس، يعني بالشبه والمثل: الآلهة، يقول: جعل لي المشركون والأصنام شبيها، فعبدوها معي، وأشركوها في عبادتي. فاستمعوا له: يقول: فاستمعوا حال ما مثله وجعلوه لي في عبادتهم إياه شبيها وصفته.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ يقول: إن جميع ما تعبدون من دون الله من الآلهة والأصنام لو جمعت لم يخلقوا ذبابا في صغره وقلته، لأنها لا تقدر على ذلك ولا تطيقه، ولو اجتمع خلقه جميعها. والذباب واحد، وجمعه في القلة أذبة وفي الكثير ذبان غراب، يجمع في القلة أغربة، وفي الكثرة غرابان.

وقوله: ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ يقول: وإن يسلب الآلهة والأوثان الذباب شيئاً مما عليها من طيب وما أشبهه من شيء ﴿لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾: يقول: لا تقدر الآلهة أن تستنقذ ذلك منه.

قال ابن القيم رحمته الله [كما في «شرح الأمثال» (ص ٤٦)]: «قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ» ﴿٧٣﴾

﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٧٤﴾ [الحج]، حقيق كل عبد أن يستمع لهذا المثل ويتدبره حق تدبره فإنه يقطع موارد الشرك من قلبه، وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده وإعدام ما يضره.

والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق ذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقته، فكيف ما هو أكبر منه؟ ولا يقدر على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئاً مما عليهم من طيب ونحوه فيستنقذونه منه، فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوان، ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم إياه، فلا أعجز من هذه الآلهة ولا أضعف منها؛ فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله تعالى؟

وهذا المثل من أبلغ ما أنزل الله سبحانه في بطلان الشرك وتجهيل أهله وتقيح عقولهم والشهادة على أن الشياطين قد تتلاعب بهم أعظم من تلاعب الصبيان

بالكرة، حيث أعطوا الإلهية التي من بعض لوازمها القدرة على جميع المقدورات والإحاطة بجميع المعلومات والغنى عن جميع المخلوقات وأن يعمد إلى الرب في جميع الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات وإجابة الدعوات، فأعطوها صوراً وتمائيل تمتنع عليها القدرة على مخلوقات الآلهة الحق وأذها وأصغرهما وأحقرها ولو اجتمعوا لذلك وتعاونوا عليه، وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء أهتهم أن هذا الخلق الأقل الأذل العاجز الضعيف لو اختطف منهم شيئاً واستلبه فاجتمعوا على أن يستنقذوه منه لعجزوا عن ذلك ولم يقدرُوا عليه.

ثم سوى بين العابد والمعبود في الضعف والعجز بقوله: ﴿ضَعْفُ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ قيل: الطالب العابد والمطلوب المعبود فهو عاجز متعلق بعاجز، وقيل: هو تسوية بين السالب والمسلوب وهو تسوية بين الإله والذباب في الضعف والعجز، وعلى هذا فالطالب الإله الباطل والمطلوب الذباب يطلب منه ما استنقذه منه، وقيل الطالب الذباب والمطلوب الآلهة فالذباب يطلب منه ما يأخذه مما عليه، والصحيح أن اللفظ يتناول الجميع فضعف العابد والمعبود والمستلب والمستلب، فمن جعل هذا الآلهة مع القوي العزيز، فما قدره حق قدره ولا عرفه حق معرفته ولا عظمه حق عظمته.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا

خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

وهذا مثل عظيم القدر والمنفعة مثل الله تعالى الذي يشرك بالله ويعلق قلبه بغيره ويتخذ الوسائط بينه وبين الله أنه كالذي يخر من السماء وهذا المثل فيه أمور:

- كونه هالك لا محالة.
- كونه في أشد الخوف والرعب.
- كونه لا نصير له من دون الله.
- فكذلك المشرك هالك لا محالة.
- وهو في أشد الخوف والرعب.
- ومن ذا الذي ينصره من دون الله تعالى.
- بخلاف الموحد فإنه ناج بإذن الله ومهتد بهداية الله ومنصور بنصرة الله وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً.

ولذا قال ابن جرير الطبري (١٨ / ٦٢٠) : «يقول تعالى ذكره: اجتنبوا أيها الناس عبادة الأوثان، وقول الشرك، مستقيمين لله على إخلاص التوحيد له، وإفراد الطاعة والعبادة له خالصا دون الأوثان والأصنام، غير مشركين به شيئا من دونه، فإنه من يُشرك بالله شيئا من دونه، فمثله في بعده من الهدى وإصابة الحق وهلاكه وذهابه عن ربه، مثل من خرّ من السماء فتخطفه الطير فهلك، أو هوت به الريح في مكان سحيق، يعني من بعيد، ..

ثم روى عن قتادة: ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ قال: هذا مثل ضربه الله لمن أشرك بالله في بعده من الهدى وهلاكه ﴿فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾. **إسناده صحيح.**

ثم روى عن عن مجاهد، في قول الله: ﴿فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ قال: بعيد. **إسناده**

وقال البغوي (٥ / ٣٨٣) : ﴿ حُنْفَاءَ لِلَّهِ ﴾ مخلصين له، ﴿ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾ قال قتادة: كانوا في الشرك يحجون، ويحرمون البنات والأمهات والأخوات، وكانوا يسمون حنفاء، فنزلت: ﴿ حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾ أي: حجاجا لله مسلمين موحدين، يعني: من أشرك لا يكون حنيفا.

﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ ﴾ أي: سقط، ﴿ مِنْ السَّمَاءِ ﴾ إلى الأرض، ﴿ فَتَخَطَّفُهُ الطَّيْرُ ﴾ أي: تستلبه الطير وتذهب به، والخطف والاختطاف: تناول الشيء بسرعة. وقرأ أهل المدينة: فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء، أي: يتخطفه، ﴿ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ ﴾ أي: تميل وتذهب به، ﴿ فِي مَكَانٍ سَجِيحٍ ﴾.

قال السعدي رحمته الله (٥٣٨) : ﴿ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ ﴿ فمثله ﴿ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ ﴾ أي: سقط منها ﴿ فَتَخَطَّفُهُ الطَّيْرُ ﴾ بسرعة ﴿ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَجِيحٍ ﴾ أي: بعيد، كذلك المشرك، فالإيمان بمنزلة السماء، محفوظة مرفوعة.

ومن ترك الإيمان، بمنزلة الساقط من السماء، عرضة للآفات والبلبات، فإما أن تخطفه الطير فتقطعه أعضاء، كذلك المشرك إذا ترك الاعتصام بالإيمان تخطفته الشياطين من كل جانب، ومزقوه، وأذهبوا عليه دينه ودنياه.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ

فُضِّلُوا بِرَادَىٰ رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ

[النحل] ﴿٧١﴾

وهذا المثل للمشرك بالله كالمثل الذي ذكره الله في سورة الروم، ومعناه أن المرء لا يرضى بأن يكون ماله عند عبده المملوك والكل عبد لله، فكيف يصرف العبادة لغير الله تعالى.

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (١٧ / ٢٥١): «يقول تعالى ذكره: ﴿وَاللَّهُ﴾ أيها الناس ﴿فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ الذي رزقكم في الدنيا، فما الذين فضّلهم الله على غيرهم بما رزقهم.

﴿رَادَىٰ رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ يقول: بمشركي مماليتهم فيما رزقهم من الأموال والأزواج.

﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ يقول: حتى يستووا هم في ذلك وعبيدهم، يقول تعالى ذكره: فهم لا يرضون بأن يكونوا هم ومماليتهم فيما رزقتهم سواء، وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني، وهذا مثل ضربه الله تعالى ذكره للمشركين بالله. وقيل: إنما عنى بذلك الذين قالوا: إن المسيح ابن الله من النصراري.

وقوله: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أفبنعمة الله التي أنعمها على هؤلاء المشركين من الرزق الذي رزقهم في الدنيا يجحدون بإشراكهم غير الله

من خلقه في، سلطانه وملكه؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل».

وقال ابن كثير رحمته الله (٤/ ٥٨٥): «يبين تعالى للمشركين جهلهم وكفرهم فيما زعموه لله من الشركاء، وهم يعترفون أنها عبيد له، كما كانوا يقولون في تلبياتهم في حجبهم: «لييك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك». فقال تعالى منكرنا عليهم: إنكم لا ترضون أن تساوا وعبيدكم فيما رزقناكم، فكيف يرضى هو تعالى بمساواة عبيده له في الإلهية والتعظيم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية [الروم: ٢٨].»

وقال ابن كثير رحمته الله (٤/ ٥٨٦): «وقال مجاهد في هذه الآية: هذا مثل الآلهة الباطلة. وقال قتادة: هذا مثل ضربه الله، فهل منكم من أحد شارك مملوكه في زوجته وفي فراشه، فتعدلون بالله خلقه وعباده؟ فإن لم ترض لنفسك هذا، فالله أحق أن ينزهه منك.»

قال الشنقيطي [في «أضواء البيان» (٣/ ٤٠)]: «أظهر التفسيرات في هذه الآية الكريمة: أن الله ضرب فيها مثلاً للكفار، بأنه فضل بعض الناس على بعض في الرزق، ومن ذلك تفضيله المالكين على المملوكين في الرزق، وأن المالكين لا يرضون لأنفسهم ان يكون المملوكون شركاءهم فيما رزقهم الله من الأموال والنساء وجميع نعم الله. ومع هذا يجعلون الأصنام شركاء لله في المملوكون شركاءهم فيما رزقهم الله من الأموال والنساء وجميع نعم الله. ومع هذا يجعلون الأصنام شركاء لله في حقه على خلقه، الذي هو إخلاص العبادة له وحده، اي إذا

كنتم لا ترضون بإشراك عبيدكم معكم في أموالكم ونسائكم فكيف تشركون معي في سلطاني؟!.

ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الروم: ٢٨] الآية. ويؤيده أن «ما» في وقوله: ﴿فَمَا الَّذِينَ فَضَّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ نافية. أي ليسوا برادي رزقهم عليهم حتى يسووهم مع أنفسهم» اهـ.

فإذا كانوا يكرهون هذا لأنفسهم، فكيف يشركون الأوثان مع الله في عبادته! مع اعترافهم بأنها ملكه، كما كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك.

وهذا الآية الكريمة نص صريح في إبطال مذهب الاشتراكية القائل: بأنه لا يكون أحد أفضل من أحد في الرزق، والله في تفضيل بعضهم على بعض في الرزق حكمة. قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢] الآية، وقال: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦]، وقال: ﴿عَلَى الْمَوْسَىٰ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦] إلى غير ذلك من الآيات.

وقال الشوكاني رحمته الله [في «فتح القدير» (٤/ ٢٤١)]: «وقيل: معنى الآية: أن الله

سبحانه أعطى الموالي أفضل مما أعطى ممالिकهم، بدليل قوله: ﴿فَمَا الَّذِينَ فَضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: فما الذين فضلهم الله بسعة الرزق على غيرهم برادِّي رزقهم الذي رزقهم الله إياه على ما ملكت أيانهم من المماليك ﴿فَهُمْ﴾ أي: المالكون والمماليك ﴿فِيهِ﴾ أي: في الرزق ﴿سَوَاءٌ﴾ أي: لا يردونه عليهم بحيث يساؤونهم، فالفاء على هذا للدلالة على أن التساوي مترتب على التراد، أي: لا يردونه عليهم رداً مستتبعاً للتساوي، وإنما يردون عليهم منه شيئاً يسيراً، وهذا مثل ضربه الله سبحانه بعبدة الأصنام، أي: إذا لم يكونوا عبيدكم معكم سواء، ولا ترضون بذلك، فكيف تجعلون عبيدي معي سواء.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا

مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَآءٍ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ

كَخِيفْتَكُمْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الروم: ٢٨]

وهذا مثل عظيم لسخافة عقول المتعلقين بغير الله الذين يعبدون معه غيره، قال قتادة قوله: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَآءٍ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ قال: مثل ضربه الله لمن عدل به شيئاً من خلقه، يقول: أكان أحدكم مشاركا مملوكه في فراشه وزوجته؟! فكذلك الله لا يرضى أن يعدل به أحد من خلقه.

روى ابن جرير بسند صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ

أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَآءٍ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ

سَوَاءٌ ﴿﴾ قال: هل تجد أحدا يجعل عبده هكذا في ماله، فكيف تعتمد أنت وأنت تشهد أنهم عبيدي وخالقي، وتجعل لهم نصيبا في عبادتي، كيف يكون هذا؟ قال: وهذا مثل ضربه الله لهم، وقرأ: ﴿كَذَلِكَ نَفِصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

﴿٢٨﴾

واختلف المفسرون في معنى تخافونهم كخيفتكم.

فعن ابن عباس أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا؛ ولكن سنده فيه ضعف. وقيل: أي تخافون أن يقاسموكم الأموال، وهو مروى عن أبي مجلز وصوبه ابن جرير وبه قال ابن كثير.

قال ابن جرير الطبري (٥٠/٢١): «يقول تعالى ذكره: مثل لكم أيها القوم ربكم مثلا من أنفسكم، ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يقول: من ممالئكم من شركاء، فيما رزقناكم من مال، فأنتم فيه سواء وهم. يقول: فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آهتكم التي تعبدونها لي شركاء في عبادتكم إياي، وأنتم وهم عبيدي وممالئكي، وأنا مالك جميعكم».

وقال القرطبي رحمه الله [في تفسيره (٢٣/١٤)]: «قال بعض العلماء: هذه الآية أصل في الشركة بين المخلوقين لافتقار بعضهم إلى بعض ونفيها عن الله سبحانه، وذلك أنه لما قال عز وجل: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ الآية، فيجب أن يقولوا: ليس عبيدنا شركاءنا فيما رزقتنا! فيقال لهم: فكيف يتصور أن تنزهوا نفوسكم عن مشاركة عبيدكم وتجعلوا عبيدي شركائي

في خلقي، فهذا حكم فاسد وقلة نظر وعمى قلب!

فإذا بطلت الشركة بين العبيد وساداتهم فيما يملكه السادة والخلق كلهم عبيد لله تعالى فيبطل أن يكون شي من العالم شريكا لله تعالى في شي من أفعاله، فلم يبق إلا أنه واحد يستحيل أن يكون له شريك، إذ الشركة تقتضي المعاونة، ونحن مفتقرون إلى معاونة بعضنا بعضا بالمال والعمل، والقديم الأزلي منزه عن ذلك عَزَّوَجَلَّ.

وهذه المسألة أفضل للطالب من حفظ ديوان كامل في الفقه، لأن جميع العبادات البدنية لا تصح إلا بتصحيح هذه المسألة في القلب، فافهم ذلك» انتهى كلامه رحمته الله.

قال ابن القيم رحمته الله [كما في «شرح الأمثال» (ص ٢٠)]: «قوله تعالى: ﴿صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢٨) وهذا دليل قياسي احتج الله سبحانه به على المشركين حيث جعلوا له من عبيده وملكه شركاء فأقام عليهم حجة يعرفون صحتها من نفوسهم ولا يحتاجون فيها إلى غيرهم.

ومن أبلغ الحجاج أن يأخذ الإنسان من نفسه ويحتج عليه بما هو في نفسه مقرر عندهم معلوم لها، فقال: ﴿هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ عبيدكم وإمائكم ﴿مِّنْ شُرَكَاءَ﴾ في المال والأهل، أي هل يشارككم عبيدكم في أموالكم

وأهليكم فأنتم وهم في ذلك سواء تخافون أن يقاسموكم أموالكم ويشاطروكم إياها، ويستأثرون ببعضها عليكم كما يخاف الشريك شريكه.

وقال ابن عباس: «تخافون أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا»، والمعنى هل يرضى أحد منكم أن يكون عبده شريكه في ماله وأهله حتى يساويه في التصرف في ذلك فهو يخاف أن ينفرد في ماله بأمر يتصرف فيه كما يخاف غيره من الشركاء والأحرار، فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم فلم عدلتم بي من خلقي من هو مملوك لي فإن كان هذا الحكم باطلا في فطركم وعقولكم مع أنه جائز عليكم ممكن في حقكم إذ ليس عبيدكم ملكا لكم حقيقة وإنما هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم وأنتم وهم عبادي؛ فكيف تستجيزون مثل هذا الحكم في حقي مع أن من جعلتموهم لي شركاء عبيدي وملكي وخلقني فهكذا يكون تفصيل الآيات لأولي العقول».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ

رَزَقْنَاهُ مَنَارًا قَاحًا حَسَنًا فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى

شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ

بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ [النحل].

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (١٧ / ٢٦٠): «يقول تعالى ذكره: وشبهه لكم

شبهها أيها الناس للكافر من عبيده، والمؤمن به منهم. فأما مثل الكافر: فإنه لا

يعمل بطاعة الله، ولا يأتي خيراً، ولا ينفق في شيء من سبيل الله ماله لغلبة خذلان الله عليه، كالعبد المملوك، الذي لا يقدر على شيء فينفقه. وأما المؤمن بالله فإنه يعمل بطاعة الله، وينفق في سبيله ماله كالحر الذي آتاه الله مالا ﴿فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾، يقول: بعلم من الناس وغير علم.

﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ يقول هل يستوي العبد الذي لا يملك شيئاً ولا يقدر عليه، وهذا الحر الذي قد رزقه الله رزقاً حسناً فهو ينفق كما وصف، فكذلك لا يستوي الكافر العامل بمعاصي الله المخالف أمره، والمؤمن العامل بطاعته.

قال ابن القيم رحمته الله [كما في «شرح الأمثال» (ص ٢١)]: «قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ آرْزَاقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾». قال ابن عباس: «وهو مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر»، ومثل المؤمن في الخير الذي عنده ثم رزقه منه رزقاً حسناً فهو ينفق منه على نفسه وعلى غيره سرا وجهراً والكفار بمنزلة عبد مملوك عاجز لا يقدر على شيء لأنه لا خير عنده فهل يستوي الرجلان عند أحد من العقلاء؟

والقول الأول أشبه بالمراد، فإنه أظهر في بطلان الشرك وأوضح عند المخاطب وأعظم في إقامة الحجة وأقرب نسبا بقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ [النحل].

ثم قال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ﴾ ومن لوازم هذا المثل وأحكامه: أن يكون المؤمن الموحد كمن رزقه منه رزقا حسنا والكافر المشرك كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، فهذا مما نبه عليه المثل وأرشد إليه، فذكره ابن عباس منبها على إرادته لأن الآية اختصت به فتأمله فإنك تجده كثيرا في كلام ابن عباس وغيره من السلف في فهم القرآن، فيظن الظان أن ذلك معنى الآية التي لا معنى لها غيره فيحكيه قوله.

فصل: وأما المثل الثاني: فهو مثل ضربه الله سبحانه لنفسه ولما يعبدون من دونه أيضا، فالصنم الذي يعبدون من دونه بمنزلة رجل أبكم لا يعقل ولا ينطق بل هو أبكم القلب واللسان قد عدم النطق القلبي واللساني ومع هذا فهو عاجز لا يقدر على شيء البتة، ومع هذا فأينما أرسلته لا يأتيك بخير ولا يقضي لك حاجة؛ والله سبحانه حي قادر متكلم ﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهذا وصف له بغاية الكمال والحمد، فإن أمره بالعدل وهو الحق يتضمن أنه سبحانه عالم به معلم له راض به أمر لعباده به محب لأهله لا يأمر بسواه، بل ينزه عن ضده الذي هو الجور والظلم والسفه والباطل، بل أمره وشرعه عدل كله، وأهل العدل هم أولياؤه وأحباؤه وهم المجاوروه فيه عن يمينه على منابر من نور.

وأمره بالعدل يتناول الأمر الشرعي الديني والأمر القدرى الكونى وكلاهما عدل لا جور فيه بوجه ما كما في الحديث الصحيح: «اللهم انى عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك»؛ فقضاؤه هو أمره الكونى: فإنما أمره إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون فلا يأمر إلا بحق وعدل،

وقضاؤه وقدره القائم به حق وعدل وإن كان في المقضي المقدر ما هو جور وظلم فإن القضاء غير المقضي والقدر غير المقدر.

ثم أخبر سبحانه أنه ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ، وهذا نظير قول شعيب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود]، فقوله: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ نظير قوله: «ناصرتي بيدك»، وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ نظير قوله: «عدل في قضاؤك» فالأول ملكه والثاني حمده، فهو على حق في أقواله وأفعاله فلا يقضي على العبد ما يكون ظالماً له به ولا يأخذه بغير ذنبه وينقصه من حسناته شيئاً، ولا يحمل عليه من سيئات غير التي لم يعملها ولم يتسبب إليها شيئاً ولا يؤاخذ أحداً بذنب غيره ولا يفعل قط ما لا يحمد عليه ويثنى به عليه ويكون له فيه العواقب الحميدة والغايات المطلوبة فإن كونه على صراط مستقيم يأبى ذلك كله.

قال محمد بن جرير الطبري: «وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يقول إن ربي على طريق الحق يجازي المحسن من خلقه بإحسانه والمسيء بإساءته لا يظلم أحداً منهم شيئاً ولا يقبل منهم إلا الإسلام والإيمان. ثم حكى عن مجاهد من طريق شبل عن ابن أبي نجيح عنه: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال: الحق وكذلك رواه ابن جريج عنه وقالت فرقة: هي مثل قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ بِالْمُرْصَادِ﴾ [الفجر]، وهذا اختلاف عبارة فإن كونه بالمرصاد هو مجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وقالت فرقة: في الكلام حذف تقديره: إن ربي يحثكم على صراط مستقيم

ويحضكم عليه، وهؤلاء إن أرادوا أن هذا معنى الآية التي أريد بها فليس كما زعموا ولا دليل على هذا المقدر.

وقد فرق سبحانه بين كونه أمرا بالعدل وبين كونه على صراط مستقيم وإن أرادوا أن حثه على الصراط المستقيم من جملة على صراط مستقيم فقد أصابوا، وقالت فرقة أخرى معنى كونه على صراط مستقيم أن مرد العباد والأمور كلها إلى الله لا يفوته شيء منها، وهؤلاء أن أرادوا أن هذا معني الآية فليس كذلك وإن أرادوا أن هذا من لوازم كونه على صراط مستقيم ومن مقتضاه وموجهه فهو حق، وقالت فرقة أخرى: معناه كل شيء تحت قدرته وقهره وفي ملكه وقبضته وهذا وإن كان حقا فليس هو معنى الآية وقد فرق شعيب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بين قوله: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ وبين قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فهما معنيان مستقلان فالقول قول مجاهد وهو قول أئمة التفسير ولا تحتل العربية غيره إلا على استكراه.

قال جرير يمدح عمر بن عبد العزيز:

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم

وقد قال تعالى: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام]، وإذا كان الله تعالى هو الذي جعل رسله عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم على الصراط المستقيم في أقوالهم وأفعالهم فهو سبحانه أحق أن يكون على صراط مستقيم في قوله وفعله وإن كان صراط الرسل وأتباعهم هو موافقة

أمره فصراطه الذي هو سبحانه عليه هو ما يقتضيه حمده وكماله ومجده من قول الحق وفعله وبالله التوفيق».

قال ابن كثير رحمته الله (٤/٥٨٨): «يقول تعالى إخباراً عن المشركين الذين عبدوا معه غيره، مع أنه هو المنعم المتفضل الخالق الرازق وحده لا شريك له، ومع هذا يعبدون من دونه من الأصنام والأنداد والأوثان ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا﴾ أي: لا يقدر على إنزال مطر ولا إنبات زرع ولا شجر، ولا يملكون ذلك، أي: ليس لهم ذلك ولا يقدرون عليه لو أرادوه، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَا تَضُرُّوهُ بِالْأَمْثَالِ﴾ أي: لا تجعلوا له أنداداً وأشباها وأمثالاً ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أنه يعلم ويشهد أنه لا إله إلا الله وأنتم بجهلكم تشركون به غيره.

قال الشوكاني رحمته الله [في «فتح القدير» (٤/٢٤٥)]: «قوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ لما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ أي: بالمعلومات التي من جملتها كيف يضرب الأمثال، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧٤). علمهم سبحانه كيف تضرب الأمثال، فقال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ أي: ذكر شيئاً يستدلُّ به على تباين الحال بين جناب الخالق سبحانه، وبين ما جعلوه شريكاً له من الأصنام.

ثم ذكر ذلك فقال: ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ والمثل في الحقيقة هي حالة للعبد عارضة له، وهي المملوكية والعجز عن التصرف، فقوله: ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ تفسير للمثل وبدل منه، ووصفه بكونه مملوكاً؛ لأن العبد والحرَّ مشتركان

في كون كل واحد منهما عبد الله سبحانه. ووصفه بكونه لا يقدر على شيء؛ لأن المكاتب والمأذون يقدران على بعض التصرفات. فهذا الوصف لتمييزه عنهما ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ﴾، «من» هي الموصولة، وهي معطوفة على ﴿عَبْدًا﴾ أي: والذي رزقناه ﴿مِنَّا﴾ أي: من جهتنا ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾ من الأحرار الذين يملكون الأموال ويتصرفون بها كيف شاءوا، والمراد بكون الرزق حسناً: أنه مما يحسن في عيون الناس، لكونه رزقاً كثيراً مشتملاً على أشياء مستحسنة نفيسة تروق الناظرين إليها. والفاء في قوله: ﴿فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ﴾ لترتيب الإنفاق على الرزق، أي: ينفق منه في وجوه الخير ويصرف منه إلى أنواع البرّ والمعروف، وانتصاب ﴿سِرًّا وَجَهْرًا﴾ على الحال، أي: ينفق منه في حال السرّ وحال الجهر.

والمراد: بيان عموم الإنفاق للأوقات، وتقديم السرّ على الجهر مشعر بفضيلته عليه، وأن الثواب فيه أكثر. وقيل: إن «من» في ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ﴾ موصوفة، كأنه قيل: وحرّاً رزقناه، ليطبق عبداً.

﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ أي: الحرّ والعبد الموصوفان بالصفات المتقدمة، وجمع الضمير لمكان من، لأنه اسم مبهم يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث. وقيل: إنه أريد بالعبد والموصول الذي هو عبارة عن الحرّ الجنس؛ أي من اتصف بتلك الأوصاف من الجنسين، والاستفهام للإنكار، أي: هل يستوي العبيد والأحرار الموصوفون بتلك الصفات مع كون كلا الفريقين مخلوقين لله سبحانه من جملة البشر، ومن المعلوم أنهم لا يستوون عندهم، فكيف يجعلون لله

سبحانه شركاء لا يملكون لهم ضرراً ولا نفعاً، ويجعلونهم مستحقين للعبادة مع الله سبحانه؟

وحاصل المعنى: أنه كما لا يستوي عندكم عبد مملوك لا يقدر من أمره على شيء ورجل حرّ قد رزقه الله رزقاً حسناً، فهو ينفق منه، كذلك لا يستوي الربّ الخالق الرازق، والجمادات من الأصنام التي تعبدونها، وهي لا تبصر ولا تسمع ولا تضرّ ولا تنفع. وقيل: المراد بالعبد المملوك في الآية: هو الكافر المحروم من طاعة الله وعبوديته، والآخر: هو المؤمن. والغرض: أنهما لا يستويان في الرتبة والشرف، وقيل: العبد: هو الصنم».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ

أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ

الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ [إبراهيم].

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (٥٥٢/١٦): «قال أبو جعفر: اختلف أهل

العربية في رافع ﴿مَثَلٌ﴾.

قال ابن كثير رحمته الله (٤٨٦/٤): «هذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكفار

الذين عبدوا مع الله غيره، وكذبوا رسله، وبنوا أعمالهم على غير أساس صحيح؛

فانهارت وعدموها أحوج ما كانوا إليها، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا

بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي: مثل أعمال الذين كفروا يوم القيامة إذا طلبوا ثوابها من الله

تعالى؛ لأنهم كانوا يحسبون أنهم على شيء، فلم يجدوا شيئاً، ولا ألفوا حاصلها إلا

كما يتحصّل من الرماد إذا اشتدت به الريح العاصفة.

﴿ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ أي: ذي ريح عاصفة قوية، فلا [يقدرّون على شيء من أعمالهم التي كسبوها في الدنيا إلا كما] يقدرّون على جمع هذا الرماد في هذا اليوم، كما قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ ﴾ [آل عمران: ١١٧]، وقال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقال في هذه الآية: ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ أي: سعيهم وعملهم على غير أساس ولا استقامة حتى فقدوا ثوابهم أحوج ما هم إليه، ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾.

قال ابن القيم رحمته الله [كما في «شرح الأمثال» (ص ٣٤)]: «قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۗ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾» فشبّه تعالى أعمال الكفار في بطلانها وعدم الانتفاع بها برماد مرت عليه ريح شديدة في يوم عاصف، فشبّه سبحانه أعمالهم في حبوطها وذهابها باطلا كالهباء المنثور لكونها على غير أساس

من الإيمان والإحسان وكونها لغير الله عَزَّجَلَّ وعلى غير أمره برماد طيرته الريح العاصف فلا يقدر صاحبه على شيء منه وقت شدة حاجته إليه، فلذلك: ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾: لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم على شيء فلا يرون لها أثرا من ثواب ولا فائدة نافعة، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه موافقا لشرعه، والأعمال أربعة فواحد مقبول وثلاثة مردودة، فالمقبول: الخالص الصواب، فالخالص أن يكون لله لا لغيره، والصواب أن يكون مما شرعه على لسان رسوله ﷺ، والثلاثة مردودة: ما خالف ذلك.

وفي تشبيهها بالرماد سر بديع وذلك للتشابه الذي بين أعمالهم وبين الرماد في التي هي خالصة لوجهه من أعمالهم نعيما وروحا فأثرت النار في أعمال أولئك حتى جعلتها رمادا فهم وما يعبدون من دون الله وقود النار».

وقال السعدي رحمته الله (١/٤٢٤): «يخبر تعالى عن أعمال الكفار التي عملوها: إما أن المراد بها الأعمال التي عملوها لله، بأنها في ذهابها وبطلانها واطمحلها كاطمحل الرماد، الذي هو أدق الأشياء وأخفها، إذا اشتدت به الريح في يوم عاصف شديد الهبوب، فإنه لا يبقى منه شيئا، ولا يقدر منه على شيء يذهب ويضمحل، فكذلك أعمال الكفار ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ ولا على مثقال ذرة منه لأنه مبني على الكفر والتكذيب.

﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ حيث بطل سعيهم واطمحل عملهم، وإما أن المراد بذلك أعمال الكفار التي عملوها ليكيدوا بها الحق، فإنهم يسعون ويكدحون

في ذلك ومكرهم عائد عليهم ولن يضروا الله ورسله وجنده وما معهم من الحق شيئاً».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَقَّعَهُ حِسَابُهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلْمَتٍ فِي بَحْرِ لَيْجٍ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلُمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رِثْمًا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ

[النور] ﴿٤٠﴾

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (١٩٥ / ١٩): «وهذا مثل ضربه الله لأعمال أهل الكفر به، فقال: والذين جحدوا توحيد ربهم وكذبوا بهذا القرآن، وبمن جاء به مثل أعمالهم التي عملوها ﴿كسراب﴾ يقول: مثل سراب، والسراب ما لصق بالأرض، وذلك يكون نصف النهار، وحين يشتد الحرّ والآل، ما كان كالماء بين السماء والأرض، وذلك يكون أول النهار، يرفع كل شيء ضحى.

وقوله: ﴿بِقِيَعَةٍ﴾ وهي جمع قاع، كالجيرة جمع جار، والقاع: ما انبسط من الأرض واتسع، وفيه يكون السراب. وقوله: ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً﴾ يقول: يظن العطشان من الناس السراب ماء ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ﴾ والهاء من ذكر السراب، والمعنى: حتى إذا جاء الظمان السراب ملتصقا ماء، يستغيث به من عطشه ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ يقول: لم يجد السراب شيئاً، فكذلك الكافرون بالله من أعمالهم التي

عملوها في غرور، يحسبون أنها منجيتهم عند الله من عذابه، كما حسب الظمان الذي رأى السراب فظنه ماء يرويه من ظمئه، حتى إذا هلك وصار إلى الحاجة إلى عمله الذي كان يرى أنه نافعه عند الله، لم يجده ينفعه شيئاً؛ لأنه كان عمله على كفر بالله، ووجد الله، هذا الكافر عند هلاكه بالمرصاد، فوفاه يوم القيامة حساب أعماله التي عملها في الدنيا، وجازاه بها جزاءه الذي يستحقه عليه منه.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ فإن لم يكن السراب شيئاً، فعلام أدخلت الهاء في قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ﴾؟ قيل: إنه شيء يرى من بعيد كالضباب، الذي يرى كثيفا من بعيد، والهباء، فإذا قرب منه المرء، رقق وصار كالهواء. وقد يتحمل أن يكون معناه حتى إذا جاء موضع السراب؛ لم يجد السراب شيئاً، فاكتفى بذكر السراب من ذكر موضعه.

﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يقول: والله سريع حسابه؛ لأنه تعالى ذكره لا يحتاج إلى عقد أصابع، ولا حفظ بقلب، ولكنه عالم بذلك كله قبل أن يعمل العبد، ومن بعد ما عمله.

قال ابن القيم رحمه الله [كما في «شرح الأمثال» (ص ١٥)]: «قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٣٩) أَوْ كَظُلْمَتٍ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلَمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهَا لَمْ يَكْدِرْنَهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ (٤٠) ذكر سبحانه للكافرين مثلين: مثلاً بالسراب

ومثلاً بالظلمات المتركمة، وذلك لأن المعرضين عن الهدى والحق نوعان:

أحدهما: من يظن أنه على شيء فيتبين له عند انكشاف الحقائق خلاف ما كان يظنه، وهذه حال أهل الجهل وأهل البدع والأهواء الذين يظنون أنهم على هدى وعلم، فإذا انكشفت الحقائق تبين لهم أنهم لم يكونوا على شيء وأن عقائدهم وأعمالهم التي ترتبت عليها كانت كسراب يرى في أعين الناظرين ماء ولا حقيقة له؛ وهكذا الأعمال التي لغير الله عَزَّوَجَلَّ وعلى غير أمره يحسبها العامل نافعة له وليست كذلك.

وهذه هي الأعمال التي قال الله عَزَّوَجَلَّ فيها: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان]، وتأمل جعل الله سبحانه السراب بالقيعة: وهي الأرض الخالية القفر من البناء والشجر والنبات والعالم فمحل السراب أرض قفر لا شيء بها والسراب لا حقيقة له، وذلك مطابق لأعمالهم وقلوبهم التي أقفرت من الإيمان والهدى.

وتأمل ما تحت قوله: ﴿ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ﴾ و ﴿ الظَّمْآنُ ﴾ الذي اشتد عطشه فرأى السراب فظنه ماء فتبعه فلم يجده شيئاً بل خانه أحوج ما كان إليه فكذلك هؤلاء لما كانت أعمالهم على غير طاعة الرسل عليهم الصلاة والسلام ولغير الله جعلت كالسراب، فرفعت لهم أظماً ما كانوا إليها فلم يجدوا شيئاً ووجدوا الله سبحانه ثم فجازاهم بأعمالهم ووفاهم حسابهم.

وفي الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث

التجلي يوم القيامة: «ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها السراب فيقال لليهود: وما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد عزيزا ابن الله فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا. فيقال: اشربوا فيتساقطون في جهنم ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله. فيقال: كذبتم ما كان لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ فيقولون: أن تسقينا. فيقال لهم: اشربوا فيتساقطون» وذكر الحديث.

وهذه حال كل صاحب باطل فإنه يخونه باطله أحوج ما كان إليه، فإن الباطل لا حقيقة له وهو كاسمه باطل، فإذا كان الاعتقاد غير مطابق ولا حق كان متعلقه باطلاً، وكذلك إذا كانت غاية العمل باطلة كالعمل لغير الله عَزَّجَلَّ أو على غير أمره بطل العمل ببطلان غايته وتضرر عامله ببطلانه وبحصول ضد ما كان يؤمله فلم يذهب عليه عمله واعتقاده لا له ولا عليه بل صار معذبا بفوات نفعه وبحصول ضد النفع، فلهذا قال تعالى: ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٣٩) فهذا مثل الضال الذي يحسب أنه على هدى.

فصل: النوع الثاني أصحاب مثل الظلمات المتراكمة: وهم الذين عرفوا الحق والهدى وآثروا عليه ظلمات الباطل والضلال فتراكمت عليه ظلمة الطبع وظلمة النفوس وظلمة الجهل حيث لم يعلموا بعلمهم فصاروا جاهلين، وظلمة اتباع الغي والهوى فحالم كحال من كان في بحر لحي لا ساحل له وقد غشيه موج ومن فوق ذلك الموج موج ومن فوقه سحب مظلم فهو في ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة السحاب؛ وهذا نظير ما هو فيه من الظلمات التي لم يخرجها الله منها

إلى نور الإيمان.

وهذان المثلان: بالسراب الذي ظنه مادة الحياة وهو الماء، والظلمات المضادة للنور، نظير المثلين اللذين ضربهما للمنافقين والمؤمنين وهما: المثل المائي، والمثل الناري، وجعل حظ المؤمنين منهما الحياة والإشراق وحظ المنافقين منهما الظلمة المضادة للنور والموت المضاد للحياة، فكذلك الكفار في هذين المثلين حظهم من الماء السراب الذي يغرر الناظر فيه ولا حقيقة له وحظهم الظلمات المترائمة؛ وهذا يجوز أن يكون المراد به حال كل طائفة من طوائف الكفار، وأنهم عدموا مادة الحياة والإضاءة بإعراضهم عن الوحي، فيكون المثلان صفتين لموصوف واحد.

ويجوز أن يكون المراد به تنويع أحوال الكفار وأن أصحاب المثل الأول هم الذين عملوا على غير علم ولا بصيرة بل على جهل وحسن ظن بالأسلاف فكانوا يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وأصحاب المثل الثاني هم الذين استحبوا الضلالة على الهدى وآثروا الباطل على الحق وعموا عنه بعد إذ أبصروه وجحدوه بعد أن عرفوه فهذا حال المغضوب عليهم والأول حال الضالين؛ وحال الطائفتين مخالف لحال المنعم عليهم المذكورين في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور].

فتضمنت الآيات أوصاف الفرق الثلاثة المنعم عليهم وهم أهل النور،

والضالين وهم أصحاب السراب، والمغضوب عليهم وهم أهل الظلمات المتراكمة، والله أعلم.

فالمثل الأول من المثلين لأصحاب العمل الباطل الذي لا ينفع، فأولئك أصحاب العمل الباطل وهؤلاء أصحاب العمل الذي لا ينفع والاعتقادات الباطلة وكلاهما مضاد للهدى ودين الحق، ولهذا مثل حال الفريق الثاني في تلاطم أمواج الشكوك والشبهات والعلوم الفاسدة في قلوبهم بتلاطم أمواج البحر فيه وأنها أمواج متراكمة من فوقها سحب مظلم.

وهكذا أمواج الشكوك والشبه في قلوبهم المظلمة التي قد تراكت عليها سحب الغي والهوى والباطل فليتدبر اللبيب أحوال الفريقين وليطابق بينهما وبين المثلين يعرف عظمة القرآن وجلاله وأنه تنزيل من حكيم حميد.

وأخبر سبحانه أن الموجب لذلك أنه لم يجعل لهم نورا بل تركهم على الظلمة التي خلقوا فيها، فلم يخرجهم منها إلى النور فإنه سبحانه ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور».

قال ابن كثير رحمته الله (٦ / ٧٠) : «هذان مثلان ضربهما الله تعالى لنوعي الكفار، كما ضرب للمنافقين في أول «البقرة» مثلين نارياً ومائياً، وكما ضرب لما يقر في القلوب من الهدى والعلم في سورة «الرعد» مثلين مائياً ونارياً، وقد تكلمنا على كل منها في موضعه بما أغنى عن إعادته، والله الحمد والمنة.

والقيعة: جمع قاع، كجار وجيرة. والقاع أيضاً: واحد القيعان، كما يقال: جار وجيران. وهي: الأرض المستوية المتسعة المنبسطة، وفيه يكون السراب، وإنما

يكون ذلك بعد نصف النهار. وأما الآل فإنها يكون أول النهار، يرى كأنه ماء بين السماء والأرض، فإذا رأى السراب من هو محتاج إلى الماء، حسبه ماءً فقصدته ليشرب منه، فلما انتهى إليه ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾، فكذلك الكافر يحسب أنه قد عمل عملاً وأنه قد حصل شيئاً، فإذا وافى الله يوم القيامة وحاسبه عليها، ونوقش على أفعاله، لم يجد له شيئاً بالكلية قد قبل، إما لعدم الإخلاص، وإما لعدم سلوك الشرع، كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقال هاهنا: ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ، وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ وهذا المثل مثال لذوي الجهل المركب. فأما أصحاب الجهل البسيط، وهم الطمطم الأغشام المقلدون لأئمة الكفر، الصم البكم الذين لا يعقلون، فمثلهم كما قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾: قال قتادة: وهو العميق. ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ أي: لم يقارب رؤيتها من شدة الظلام، فهذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد الذي لا يدري أين يذهب، ولا [هو] يعرف حال من يقوده، بل كما يقال في المثل للجاهل: أين تذهب؟ قال: معهم. قيل: فإلى أين يذهبون؟ قال: لا أدري».

قال السعدي رحمته الله (١/ ٥٦٩): «هذان مثلان، ضربهما الله لأعمال الكفار في بطلانها وذهابها سدى وتحسر عامليها منها فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بربههم وكذبوا رسله ﴿أَعْمَلْتُمْ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ﴾ أي: بقاع، لا شجر فيه ولا نبت.

﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ شديد العطش، الذي يتوهم ما لا يتوهم غيره، بسبب ما معه من العطش، وهذا حساب باطل، فيقصده ليزيل ظمأه، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ، لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ فندم ندما شديداً، وازداد ما به من الظمأ، بسبب انقطاع رجائه، كذلك أعمال الكفار، بمنزلة السراب، ترى ويظنها الجاهل الذي لا يدري الأمور، أعمالاً نافعة، فيغره صورتها، ويخلبه خيالها، ويحسبها هو أيضاً أعمالاً نافعة لهواه، وهو أيضاً محتاج إليها بل مضطر إليها، كاحتياج الظمآن للماء، حتى إذ قدم على أعماله يوم الجزاء، وجدها ضائعة، ولم يجدها شيئاً، والحال إنه لم يذهب، لاله ولا عليه، بل ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ، فَوْقَهُ حِسَابَهُ﴾ لم يخف عليه من عمله نكير ولا قطمير، ولن يعدم منه قليلاً ولا كثيراً، ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فلا يستطيع الجاهلون ذلك الوعد، فإنه لا بد من إتيانه، ومثلها الله بالسراب الذي بقية، أي: لا شجر فيه ولا نبات، وهذا مثال لقلوبهم، لا خير فيها ولا بر، فتزكو فيها الأعمال وذلك للسبب المانع، وهو الكفر.

والمثل الثاني، لبطلان أعمال الكفار ﴿كَظُلْمَتٍ فِي بَحْرِ لُجِّي﴾ بعيد قعره، طويل مداه ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، سَحَابٌ ظَلَمَتْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ظلمة البحر اللجي، ثم فوقه ظلمة الأمواج المتركمة، ثم فوق ذلك، ظلمة السحب المدهمة، ثم فوق ذلك ظلمة الليل البهيم، فاشتدت الظلمة جداً، بحيث أن الكائن في تلك الحال ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْفُؤَهُ، لَمْ يَكَدْ يَرْتَبْهَا﴾ مع قربها إليه، فكيف بغيرها، كذلك الكفار، تراكمت على قلوبهم الظلمات، ظلمة الطبيعة، التي لا خير فيها،

وفوقها ظلمة الكفر، وفوق ذلك، ظلمة الجهل، وفوق ذلك، ظلمة الأعمال الصادرة عما ذكر، فبقوا في الظلمة متحيرين، وفي غمرتهم يعمهون، وعن الصراط المستقيم مدبرين، وفي طرق الغي والضلال يترددون، وهذا لأن الله تعالى خذلهم، فلم يعطهم من نوره، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ لأن نفسه ظالمة جاهلة، فليس فيها من الخير والنور، إلا ما أعطها مولاها، ومنحها ربه. يحتمل أن هذين المثالين، لأعمال جميع الكفار، كل منهما، منطبق عليها، وعددهما لتعدد الأوصاف، ويحتمل أن كل مثال، لطائفة وفرقة. فالأول، للمتبعين، والثاني، للتابعين، والله أعلم».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ

كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ

كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١]

قال الطبري رحمته الله (٣٨/٢٠): «يقول تعالى ذكره: مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها ونفعها عند حاجتهم إليها في ضعف احتياهم، وقبح رواياتهم، وسوء اختيارهم لأنفسهم، ﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ﴾ في ضعفها، وقلة احتياها لنفسها، ﴿اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ لنفسها، كما يكنها، فلم يغن عنها شيئاً عند حاجتها إليه، فكذلك هؤلاء المشركون لم يغن عنهم حين نزل بهم أمر الله، وحلّ بهم سخطه أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئاً، ولم يدفعوا عنهم ما أحلّ الله بهم من سخطه بعبادتهم إياهم».

قال ابن القيم رحمته الله [كما في «شرح الأمثال» (ص ١٣)]: «قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ﴾ فذكر سبحانه أنهم ضعفاء وأن الذين اتخذوهم أولياء أضعف منهم، فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت اتخذت بيتا وهو أوهن البيوت وأضعفها، وتحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حيث اتخذوا من دون الله أولياء فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفا كما قال تعالى: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهًا لِيَكُونَ لَهُمْ عِزًّا ۗ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ ﴿٨٢﴾ [مريم]، وقال تعالى: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهًا لَعَلَّهُمْ يُضَرُّونَ﴾ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُخَضَّرُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ [يس].

قال ابن كثير رحمته الله (٢٧٩/٦): «هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله، يرجون نصرهم ورزقهم، ويتمسكون بهم في الشدائد، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت، فإنه لا يجدي عنه شيئا، فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء، وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله، وهو مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع فإنه مستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، لقوتها وثباتها.

ثم قال تعالى متوعدا لمن عبد غيره وأشرك به: إنه تعالى يعلم ما هم عليه من الأعمال، ويعلم ما يشركون به من الأنداد، وسيجزئهم وصفهم إنه حكيم عليهم.

ثم قال تعالى: ﴿وَيْلَكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ

﴿٤٣﴾ أي: وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتصلعون منه».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ

لَعَلَّهُمْ يَنْذَكُرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

﴿٢٩﴾ [الزمر]

قال ابن كثير رحمته الله (٩٦ / ٧): «يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا

الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: بينا للناس فيه بضرب الأمثال، ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْذَكُرُونَ﴾، فإن

المثل يقرب المعنى إلى الأذهان، كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾

[الروم: ٢٨] أي: تعلمونه من أنفسكم، وقال: ﴿وَيْلَكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ

وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وقوله: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ أي: هو قرآن بلسان عربي مبين، لا

اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس، بل هو بيان ووضوح وبرهان، وإنما جعله الله

[عَرَجَلًا] كذلك، وأنزله بذلك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: يحذرون ما فيه من الوعيد،

ويعملون بما فيه من الوعد.

ثم قال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ﴾ أي: يتنازعون في ذلك

العبد المشترك بينهم، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ أي: خالصا لرجل، لا يملكه أحد غيره، ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ أي: لا يستوي هذا وهذا. كذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله، والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له. فأين هذا من هذا؟

قال ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد: هذه الآية ضربت مثلا للمشرك والمخلص، ولما كان هذا المثل ظاهرا بيننا جليا، قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: على إقامة الحجة عليهم، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: فلهذا يشركون بالله.

قال ابن القيم رحمته الله [كما في «شرح الأمثال» (ص ٥٤)]: «هذا مثل ضربه الله سبحانه للمشرك والموحد، فالمشرك بمنزلة عبد تملكه جماعة مشتركين في خدمته لا يمكنه رضاهم أجمعين، والموحد لما كان يعبد الله وحده فمثله كمثل عبد رجل واحد قد سلم له وعلم مقاصده وعرف الطريق إلى رضاه فهو في راحة من تشاحن الخلقاء فيه بل هو سالم لمالكه من غير منازع فيه مع رافة مالكه به ورحمته له وشفقته عليه وإحسانه إليه وتوليته بمصالحه فهل يستوي هذان العبدان، وهذا منه أبلغ الأمثال فإن الخالص لمالك واحد مستحق من معونته وإحسانه والتفاتة إليه وقيامه بمصالحه ما لا يستحقه صاحب الشركاء المتشاكسين، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ﴾

﴿مُسْتَنْفِرَةٌ (٥٠) فَزَتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر]

قال ابن القيم رحمه الله [كما في «شرح الأمثال» (ص ٢٦)]: «قوله تعالى في تشبيهه من أعرض عن كلامه وتدبره: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ﴾ (٥٠) فَزَتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ» شبههم في إعراضهم ونفورهم عن القرآن بحمر رأّت الأسد والرماة ففرت منه، وهذا من بدیع التمثيل فإن القوم من جهلهم بما بعث الله سبحانه رسوله صلّى الله عليه وآله كالحمر فهي لا تعقل شيئاً فإذا سمعت صوت الأسد أو الرامي نفرت منه أشد النفور وهذا غاية الذم لهؤلاء فإنهم نفروا عن الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم كنفور الحمر عما يهلكها ويعقرها.

وتحت المستنفرة معنى أبلغ من النافرة فإنها لشدة نفورها قد استنفر بعضها بعضاً وحضه على النفور فإن في الاستفعال من الطلب قدراً زائداً على الفعل المجرد فكأنها تواصلت بالنفور وتواطأت عليه، ومن قرأها بفتح الفاء فالمعنى: أن القسورة استنفرها وحملها على النفور ببأسه وشدته».

قال ابن كثير رحمه الله (٨/ ٢٧٣): «أي: كأنهم في نفارهم عن الحق، وإعراضهم عنه حمر من حمر الوحش إذا فرت ممن يريد صيدها من أسد، قاله أبو هريرة، وابن عباس - في رواية - عنه وزيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن. أو: رام، وهو رواية عن ابن عباس، وهو قول الجمهور».

قال البغوي رحمه الله (٨/ ٢٧٤): «نصب على الحال، وقيل صاروا معرضين.

﴿كَانَهُمْ حَمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ جمع حمار قرأ أهل المدينة والشام بفتح الفاء، وقرأ الباقون بكسرها، فمن قرأ بالفتح فمعناها منفرة مذعورة، ومن قرأ بالكسر فمعناها نافرة، يقال: نفر واستنفر بمعنى واحد، كما يقال عجب واستعجب. ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ قال مجاهد وقتادة والضحاك: «القسورة»: الرماة، لا واحد لها من لفظها، وهي رواية عطاء عن ابن عباس، وقال سعيد بن جبیر: هم القناص وهي رواية عطية عن ابن عباس.

وقال زيد بن أسلم: [هم] رجال أقوياء، وكل ضخم شديد عند العرب: قسور وقسورة. وعن أبي المتوكل قال: هي لغط القوم وأصواتهم. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: هي حبال الصيادين.

وقال أبو هريرة: هي الأسد، وهو قول عطاء والكلبي، وذلك أن الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت، كذلك هؤلاء المشركين إذا سمعوا النبي ﷺ يقرأ القرآن هربوا منه.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ

بَشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفْتِيهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾

[الرعد]

قال ابن جرير الطبري رحمه الله (٣٩٩ / ١٦): «وقوله: ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ يقول: لا تجيب هذه الآلهة التي يدعوها هؤلاء المشركون آلهة بشيء يريدونه من نفع أو دفع ضرر.

﴿إِلَّا كَبَسِطِ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ﴾ ، يقول: لا ينفع داعي الآلهة دعاؤه إياها إلا كما ينفع باسط كفيه إلى الماء بسطه إياهما إليه من غير أن يرفعه إليه في إناء، ولكن ليرتفع إليه بدعائه إياه وإشارته إليه وقبضه عليه.

والعرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلاً بالقابض على الماء.

قال بعضهم:

فإني وإياكم وشوقاً إليكم كقابض ماءٍ لم تسقه أنامله.

وقال ابن كثير رحمته الله (٤ / ٤٤٥): ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ أي: ومثل الذين يعبدون آلهة غير الله ﴿كَبَسِطِ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ قال علي بن أبي طالب: كمثل الذي يتناول الماء من طرف البئر بيده، وهو لا يناله أبداً بيده، فكيف يبلغ فاه؟.

وقال مجاهد: ﴿كَبَسِطِ كَفَيْهِ﴾ يدعو الماء بلسانه، ويشير إليه [بيده] فلا يأتيه أبداً.

قال السعدي رحمته الله (١ / ٤١٥): ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ﴾ أي: لمن يدعوها ويعبدها بشيء قليل ولا كثير لا من أمور الدنيا ولا من أمور الآخرة ﴿إِلَّا كَبَسِطِ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ﴾ الذي لا تناله كفاه لبعده، ﴿لِيَبْلُغَ﴾ ببسط كفيه إلى الماء ﴿فَاهُ﴾ فإنه عطشان ومن شدة عطشه يتناول بيده، ويبسطها إلى الماء الممتنع وصولها إليه، فلا يصل إليه.

كذلك الكفار الذين يدعون معه آلهة لا يستجيبون لهم بشيء ولا ينفعونهم في

أشد الأوقات إليهم حاجة لأنهم فقراء كما أن من دعوهم فقراء، لا يملكون مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير.

﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ لبطلان ما يدعون من دون الله، فبطلت عباداتهم ودعاؤهم؛ لأن الوسيلة تبطل ببطلان غايتها، ولما كان الله تعالى هو الملك الحق المبين، كانت عبادته حقاً متصلة النفع لصاحبها في الدنيا والآخرة.

وتشبيهه دعاء الكافرين لغير الله بالذي يبسط كفيه إلى الماء ليلبغ فاه من أحسن الأمثلة؛ فإن ذلك تشبيهه بأمر محال، فكما أن هذا محال، فالمشبه به محال، والتعليق على المحال من أبلغ ما يكون في نفي الشيء.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ

إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (٣/٣٠٨) : «وأولى التأويل عندي بالآية، التأويل الأول الذي قاله ابن عباس ومن وافقه عليه. وهو أن معنى الآية: ومثل وعظ الكافر وواعظه، كمثل الناعق بغنمه ونعيقه، فإنه يسمع نعقه ولا يعقل كلامه، على ما قد بينا قبل.

فأما وجه جواز حذف «وعظ» اكتفاء بالمثل منه، فقد أتينا على البيان عنه في قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧]، وفي غيره من نظائره من الآيات، بما فيه الكفاية عن إعادته.

وقال ابن كثير رحمته الله (١/٤٨٠) : «ثم ضرب لهم تعالى مثلاً كما قال تعالى:

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ﴾ [النحل: ٦٠] فقال: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: فيما هم فيه من الغي والضلال والجهل كالذباب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها، بل إذا نعق بها راعيها، أي: دعاها إلى ما يرشدها، لا تفقه ما يقول ولا تفهمه، بل إنها تسمع صوته فقط.

وقيل: إنها هذا مثل ضرب لهم في دعائهم الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل شيئاً، اختاره ابن جرير، والأول أولى؛ لأن الأصنام لا تسمع شيئاً ولا تعقله ولا تبصره، ولا بطش لها ولا حياة فيها. وقوله: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ﴾ أي: صم عن سماع الحق، بكم لا يتفوهون به، عمي عن رؤية طريقه ومسلكه ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: لا يعقلون شيئاً ولا يفهمونه، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبَكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩].

وقال ابن القيم رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا

لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٧١).

فتضمن هذا المثل ناعقاً أي مصوتاً بالغنم وغيرها ومنعوقاً ثني به وهو الذباب فقيل: الناعق العابد وهو الداعي للصنم، والصنم هو المنعوق به المدعو، وإن حال الكافر في دعائه كحال من ينعق بما لا يسمعه. هذا قول طائفة منهم عبد الرحمن بن زيد وغيره.

قال السعدي رحمه الله (١ / ٨١) : «لما بين تعالى عدم انقيادهم لما جاءت به الرسل، وردهم لذلك بالتقليد، علم من ذلك أنهم غير قابلين للحق، ولا مستجيبين له، بل كان معلوما لكل أحد أنهم لن يزولوا عن عنادهم، أخبر تعالى، أن مثلهم عند دعاء الداعي لهم إلى الإيمان كمثل البهائم التي ينق لها راعيها، وليس لها علم بما يقول راعيها ومناديها، فهم يسمعون مجرد الصوت، الذي تقوم به عليهم الحجة، ولكنهم لا يفقهونه فقها ينفعهم، فلهذا كانوا صما لا يسمعون الحق سماع فهم وقبول، عميا لا ينظرون نظر اعتبار، بكما فلا ينطقون بما فيه خير لهم.

والسبب الموجب لذلك كله، أنه ليس لهم عقل صحيح، بل هم أسفه السفهاء، وأجهل الجهلاء.

فهل يستريب العاقل، أن من دعي إلى الرشاد، وزيد عن الفساد، ونهي عن اقتحام العذاب، وأمر بما فيه صلاحه وفلاحه، وفوزه، ونعيمه فعصى الناصح، وتولى عن أمر ربه، واقتحم النار على بصيرة، واتبع الباطل، ونبذ الحق؛ أن هذا ليس له مسكة من عقل، وأنه لو اتصف بالمكر والخديعة والدهاء، فإنه من أسفه السفهاء».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَأَلَّا نَعْمَ بَلْ هُمْ

أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ [الأعراف]

مثل الله عز وجل بالأنعام الذين لا يعقلون كلامه وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ولا

يبصرون الحق ولا يسمعونه وإن كانوا يبصرون الدنيا ويسمعون ما فيها، لكن ليس ذلك المراد فيهم في هذه الدنيا بل المراد هو القبول للحق فمثلهم بالأنعام لكونهم شابهوها في الأكل والشرب والمعيشة الدنيوية، بل جعلهم الله أضل منها لكونها لم تقصر في شيء مما خلقت له بل إنها تسبح الله وتخضع له سبحانه وأما هؤلاء فتمردوا عما خلقوا له: فقال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾.

قال ابن كثير رحمته الله (٣/ ٥١٤): «وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ أي: هؤلاء الذين لا يسمعون الحق ولا يعونونه ولا يبصرون الهدى، كالأنعام السارحة التي لا تتفجع بهذه الحواس منها إلا في الذي يعيشها من ظاهر الحياة الدنيا كما قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بَكُمْ عَمَى﴾ [البقرة: ١٧١] أي: ومثلهم - في حال دعائهم إلى الإيثار - كمثل الأنعام إذا دعاها راعيها لا تسمع إلا صوته، ولا تفقه ما يقول؛ ولهذا قال في هؤلاء: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ أي: من الدواب؛ لأن الدواب قد تستجيب مع ذلك لراعيها إذا أفس بها، وإن لم تفقه كلامه، بخلاف هؤلاء؛ ولأن الدواب تفقه ما خلقت له إما بطبعها وإما بتسخيرها، بخلاف الكافر فإنه إنما خلق ليعبد الله ويوحده، فكفر بالله وأشرك به؛ ولهذا من أطاع الله من البشر كان أشرف من مثله من الملائكة في معاده، ومن كفر به من البشر، كانت الدواب أتم منه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.

قال ابن القيم رحمته الله [كما في «شرح الأمثال» (ص ١٩)]: «قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ

﴿ ٤٤ ﴾ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾

[الفرقان]، فشبّه أكثر الناس بالأنعام والجامع بين النوعين التساوي في عدم قبول الهدى والانقياد له، وجعل الأكثرين أضل سبيلا من الأنعام لأن البهيمة يهديها سائقها فتتهدي وتتبع الطريق فلا تحيد عنها يمينا ولا شمالا، والأكثرين يدعونهم الرسل ويهدونهم السبيل فلا يستجيبون ولا يهتدون ولا يفرقون بين ما يضرهم وبين ما ينفعهم، والأنعام تفرق بين ما يضرها من النبات والطريق فتجتنبه وما ينفعها فتؤثره، والله تعالى لم يخلق للأنعام قلوبا تعقل بها ولا ألسنة تنطق بها وأعطى ذلك لهؤلاء ثم لم ينتفعوا بما جعل لهم من العقول والقلوب والألسنة والأسماع والأبصار فهم أضل من البهائم فإن من لا يهتدي إلى الرشد وإلى الطريق مع الدليل له أضل وأسوأ حالا ممن لا يهتدي حيث لا دليل معه».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا مِّنَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾
 ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا
 مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا عَلِّمْنَا
 إِلَيْكُمْ لِمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَّمْنَا إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطِيرِنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ
 نَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَئِرُكُمْ مَعَكُمْ أَلَيْسَ ذُكْرُكُمْ بَلْ
 أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُومِ اتَّبِعُوا
 الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مِنْ لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي
 فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ
 عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُفْقَدُونَ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي ءَامَنْتُ
 بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ يَمَا عَصَرْتُ لِي رَبِّي
 وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ [يس]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (٤٩٩ / ٢٠): «يقول تعالى ذكره: ومثل يا محمد
 لمشركي قومك مثلاً أصحاب القرية، ذكر أنها أنطاكية، ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾
 اختلف أهل العلم في هؤلاء الرسل، وفيمن كان أرسلهم إلى أصحاب القرية؛
 فقال بعضهم: كانوا رسل عيسى ابن مريم، وعيسى الذي أرسلهم إليهم».
 وقال ابن كثير رحمته الله (٥٦٨ / ٦): «يقول تعالى: واضرب - يا محمد -
 لقومك الذين كذبوك ﴿مَثَلًا مِّنَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾».

وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ [في «فتح القدير» (٦/ ١٥٥)]: «قوله: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ قد تقدّم الكلام على نظير هذا في سورة البقرة، وسورة النمل، والمعنى: اضرب لأجلهم مثلاً، أو اضرب لأجل نفسك أصحاب القرية مثلاً، أي: مثلهم عند نفسك بأصحاب القرية، فعلى الأوّل لما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٣] وقال: ﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا﴾ [يس: ٦].

قال: قل لهم: ما أنا بدعا من الرسل، فإن قبلي بقليل جاء أصحاب القرية مرسلون، وأنذروهم بما أنذرتكم، وذكروا التوحيد، وخوفوا بالقيامة، وبشروا بنعيم دار الإقامة. وعلى الثاني لما قال: إن الإنذار لا ينفع من أضله الله، وكتب عليه أنه لا يؤمن، قال للنبي ﷺ: اضرب لنفسك، ولقومك مثلاً: أي: مثل لهم عند نفسك مثلاً بأصحاب القرية حيث جاءهم ثلاثة رسل، ولم يؤمنوا، وصبر الرسل على الإيذاء، وأنت جئت إليهم واحداً، وقومك أكثر من قوم الثلاثة، فإنهم جاءوا إلى أهل القرية، وأنت بعثتكم إلى الناس كافة.

والمعنى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾: أي: اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية، فترك المثل، وأقيم أصحاب القرية مقامه في الإعراب. وقيل: لا حاجة إلى الإضمار، بل المعنى: اجعل أصحاب القرية لهم مثلاً على أن يكون ﴿مَثَلًا﴾ و ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ مفعولين لا ضرب، أو يكون أصحاب القرية بدلاً من مثلاً». .

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ

تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ [آل عمران]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (٦ / ٤٦٧): «يعني جل ثناؤه: إن شبه عيسى في خلقي إياه من غير فحل فأخبر به، يا محمد، الوفد من نصارى نجران عندي، كشبه آدم الذي خلقتة من تراب ثم قلت له: «كن»، فكان من غير فحل ولا ذكر ولا أنثى. يقول: فليس خلقي عيسى من أمه من غير فحل، بأعجب من خلقي آدم من غير ذكر ولا أنثى، وأمري إذ أمرته أن يكون فكان لحماً. يقول: فكذلك خلقي عيسى: أمرته أن يكون فكان».

قال الشوكاني رحمته الله [في «فتح القدير» (١ / ٤٧٤)]: «تشبيه عيسى بآدم في كونه مخلوقاً من غير أب كآدم، ولا يقدح في التشبيه اشتغال المشبه به على زيادة، وهو كونه لا أم له: كما أنه لا أب له، فذلك أمر خارج عن الأمر المراد بالتشبيه، وإن كان المشبه به أشد غرابة من المشبه، وأعظم عجباً، وأغرب أسلوباً. وقوله: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ جملة مفسرة لما أبهم في المثل، أي: أن آدم لم يكن له أب، ولا أم، بل خلقه الله من تراب. وفي ذلك دفع لإنكار من أنكروا خلق عيسى من غير أب مع اعترافه بأن آدم خلق من غير أب، وأم. قوله: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: كن بشراً، فكان بشراً. وقوله: ﴿فَيَكُونُ﴾ حكاية حال ماضية، وقد تقدم تفسير هذا».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ

وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ [هود]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (٢٩١/١٥) : «قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: مثل فريق الكفر والإيمان كمثل الأعمى الذي لا يرى بعينه شيئاً، والأصم الذي لا يسمع شيئاً، فكذلك فريق الكفر لا يبصر الحق فيتبعه ويعمل به، لشغله بكفره بالله، وغلبة خذلان الله عليه، لا يسمع داعي الله إلى الرشاد، فيجيبه إلى الهدى فيهتدي به، فهو مقيم في ضلالتة، يتردد في حيرته. والسميع والبصير فذلك فريق الإيمان، أبصر حجج الله، وأقر بما دلت عليه من توحيد الله، والبراءة من الآلهة والأنداد، ونبوة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وسمع داعي الله فأجابه وعمل بطاعة الله.»

وقال ابن كثير رحمته الله (٣١٥/٤) : «لما ذكر تعالى حال الأشقياء ثنى بذكر السعداء، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فأمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الأعمال الصالحة قولاً وفعلاً من الإتيان بالطاعات وترك المنكرات، وبهذا ورثوا الجنات، المشتملة على الغرف العاليات، والسرر المصفوفات، والقطوف الدانيات، والفرش المرتفعات، والحسان الخيرات، والفواكه المتنوعات، والمآكل المشتهيات والمشارب المستلذات، والنظر إلى خالق الأرض والسموات، وهم في ذلك خالدون، لا يموتون ولا يهرمون ولا يمرضون، وينامون ولا يتغطون، ولا يبصقون ولا يتمخطون، إن هو إلا رشح مسك يعرقون.»

ثم ضرب [الله] تعالى مثل الكافرين والمؤمنين، فقال: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ أي: الذين وصفهم أولاً بالشقاء والمؤمنين السعداء، فأولئك كالأعمى والأصم، وهؤلاء كالبصير والسميع. فالكافر أعمى عن وجه الحق في الدنيا، وفي الآخرة لا يهتدي إلى خير ولا يعرفه، أصم عن سماع الحجج، فلا يسمع ما ينتفع به، ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣]، وأما المؤمن ففطن ذكي لبيب، بصير بالحق، يميز بينه وبين الباطل، فيتبع الخير ويترك الشر، سميع للحجة، يفرق بينها وبين الشبهة، فلا يروج عليه باطل، فهل يستوي هذا وهذا.

﴿أَفَلَا نَذَكَّرُونَ﴾ أفلا تعتبرون وتفرقون بين هؤلاء وهؤلاء، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢٠]، وقال ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿١١﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر].

قال ابن القيم رحمه الله [كما في «شرح الأمثال» (ص ١٣)]: «قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ أفلا نذكرون» فإنه سبحانه وتعالى ذكر الكفار ووصفهم بأنهم ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون، ثم ذكر المؤمنين ووصفهم بالإيمان والعمل الصالح والإخبات إلى ربهم

فوصفهم بعبودية الظاهر وبالباطن.

جعل أحد الفريقين كالأعمى والأصم من حيث كان قلبه أعمى عن رؤية الحق أصم عن سماعه، فشبّهت بمن بصره أعمى عن رؤية أحق الأشياء وسمعه أصم عن سماع الأصوات؛ والفريق الآخر بصير القلب سميعه كبصير العين وسميع الأذن فتضمنت الآية قياسين وتمثيلين للفريقين، ثم نفى التسوية عن الفريقين بقوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا

مِصْبَاحٌ مِّصْبَاحٌ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ [النور].

يضرب الله تعالى لنا مثل الإيمان والنور الذي بقلب المؤمن الذي هو من الله.

فيقول تعالى ذكره: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: قال ابن جرير: «أي هادي السموات والأرض».

وقوله تعالى: ﴿مِثْلُ نُورِهِ﴾: أي يشبه نوره: والضمير في نوره قيل عائد إلى الله أي نور الله وقيل نو المؤمن ولا تنافي فالمراد النور الذي في قلب المؤمن وهو من الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿كَمِشْكُوتٍ﴾: وهو موضع الفتيلة: روي عن مجاهد وابن عباس

ورجحه ابن كثير وقبله ابن جرير. وقيل: المشكاة النافذة، روي عن سعد بن عياض وعطية عن ابن عمر.

وقوله تعالى: ﴿فِيهَا مَصْبَاحٌ﴾: وهو الذبالة التي تضيء، قاله ابن كثير. وقال ابن جرير: وهو السراج، وهما بمعنى.

وقوله تعالى: ﴿الْمَصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾: أي النور في زجاجة صافية لذا قال: ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ أي كأنها كوكب مضيء في صفاتها وضيائها.

وقوله تعالى: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ﴾: أن هذا النور ستمد نوره من زيت زيتون، ﴿شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ﴾: وهي زيت الزيتون.

وقوله تعالى: ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾: قيل هذه الشجرة لا يسترها شيء، فالشمس عليها صباح مساء تطلع عليها وتغرب. فمعناه لا شرقية فقط ولا غربية فقط، وهو قول عكرمة وابن زيد ورجحه ابن جرير وابن كثير.

وقيل: أنها وسط الشجر لا شرقية ولا غربية. روي عن ابن عباس، وقيل: معناه أنها ليست في الأرض لا شرقية ولا غربية، روي عن الحسن والصواب الأول.

وقوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾: أي الزيت يكاد يضيء بدون نار فكيف والنار تضيء منه.

وقوله تعالى: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾: أي نور الزيت على نور النار.

وقوله تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾: أي هدايته والقرآن والإسلام، وكلها أقوىها متقاربة.

وتأويل المثل على قول من قال: قلب المؤمن، فشبه قلب المؤمن وما هو مفطور عليه من الهدى وما يتلقاه من القرآن المطابق لما هو مفطور عليه بالقتل من الزجاج الشفاف الجوهري، وما يستهدي به من القرآن والشرع بالزيت الجيد الصافي المشرف المعتدل الذي لا كدر فيه ولا انحراف. والمصباح هو الإيمان والنور الذي في صدره وصدرة كالزجاجة. قاله ابن جرير.

﴿كَأَنَّمَا كَوَّكِبٌ﴾: أي في صفاتها، وأنها تصف صدره بالنقاء من كل ريب وشك... إلخ.

وقوله تعالى: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أي أن هذا القرآن من عند الله، وأنه كلام، فجعل مثله ومثل كونه من عنده مثل المصباح الذي يوقد من الشجرة، وقيل: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لا يهودي ولا نصراني، والصواب أنه النور في قوته واستمداده من عند الله أقوى ما يكون لا ينقطع عنه كما في معنى المثل.

وقوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾: أي حجج الله تعالى ذكره على خلقه تكاد من بيانها ووضوحها تضيء لمن فكر فيها ونظر أو أعرض عنها ولها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ أي ولو لم يزلها الله بياناً ووضوحاً بإنزاله هذه القرآن إليهم دالاً لهم على توحيدهم فكيف إذا نبههم وذكرهم بآياته

فزادهم به حجة إلى حجة عليهم قبل ذلك، فذلك بيان من الله ونور على بيان والنور الذي كان قد وضعه لهم قبل نزوله.

وقوله تعالى: ﴿تُورُّ عَلَى نُورٍ﴾: قيل تأويله نور القرآن يضيء بعضه بعضاً؛ قاله زيد بن أسلم. ورجح ابن جرير أنه نور النار على الزيت؛ قول مجاهد فمعناه عنده هذا القرآن نور على نور: الحجج والبيان الذي قد نصبه لهم قبل مجيء القرآن.

وقوله تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾: أي للقرآن من يشاء.

﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: أي عليم بالأمثال اللائقة للمعاني المطابقة للمثل به، وعليم بمن يستحق نوره.

فوائد المثل:

- رحمة الله بعباده وضرب الأمثال لهم تقريباً للمراد وتفهيماً لهم.
- أن الله هو المنفرد بهداية من شاء إلى نوره.
- أن الله تعالى نور السموات والأرض وما نورهما إلا من نوره، ولو كشف الحجاب لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره.
- أن المؤمن كالمصباح في علمه وهداه وتوحيده يضيء لنفسه وللآخرين، ولا يتم هذا المثل إلا لمن نفع غيره بعد انتفاعه كما هو معلوم.
- أن هداية المؤمن وزيادة نوره من القرآن علماً وفهماً وفقهاً وعملاً، ومن اهتدى بغير القرآن فهو من أهل الضلال.
- أن المؤمن يكاد يضيء لغيره ولو لم يزد علمه بالوحي فكيف لو وقع النور

على النور.

— أن نور القرآن مستمد من الله وبركته من الله دائماً وأبداً لا ينقطع عنه الخير والبركة لقوله: ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾.

— أن نور المؤمن ينجيه في الدنيا من الظلمات، كما قال تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

— وينجيه في الآخرة من ظلمات الموقف والحساب والصراط، والله المستعان.
— أن الهداية تطلب من الله.

— وأعظمها - أي الهداية - ما في هذه الآية: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ فمن اهتدى إلى القرآن فهي خير هداية والنعم كلها دون هذه النعمة.

— ضرب الله الأمثال للناس بعلمه وحكمته.

— علم الله لمن يستحق الهداية وعلمه بحقيقة الأمثال.

— أن نور القرآن والعلم يؤخذ ويلقى في البيوت التي أذن الله أن ترفع.

— أن المؤمن لا يشغله تجارته ولا يبيعه عن نور الله له وهدايته.

نسأل الله من فضله فهذا مختصر معنى هذا المثل العظيم.

وإليك بيان هذا المثل من كلام أهل العلم:

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (١٩ / ١٧٧): «يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿اللَّهُ

نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هادي من في السماوات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون، وهداه من حيرة الضلالة يعتصمون.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك مثل ضربه الله للقرآن في قلب أهل الإيمان به، فقال: مثل نور الله الذي أنار به لعباده سبيل الرشاد، الذي أنزله إليهم فآمنوا به وصدقوا بما فيه في قلوب المؤمنين مثل مشكاة، وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة، وذلك هو نظير الكوة التي تكون في الحيطان التي لا منفذ لها، وإنما جعل ذلك العمود مشكاة؛ لأنه غير نافذ، وهو أجوف مفتوح الأعلى، فهو كالكوة التي في الحائط التي لا تنفذ، ثم قال: ﴿فِيهَا مَصْبَاحٌ﴾ وهو السراج، وجعل السراج وهو المصباح مثلاً لما في قلب المؤمن من القرآن والآيات المبينات، ثم قال: ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ يعني: أن السراج الذي في المشكاة: في القنديل، وهو الزجاج، وذلك مثل للقرآن، يقول: القرآن الذي في قلب المؤمن الذي أنار الله قلبه في صدره، ثم مثل الصدر في خلوصه من الكفر بالله والشك فيه، واستنارته بنور القرآن، واستضاءته بآيات ربه المبينات، ومواعظه فيها بالكوكب الدرّي، فقال: ﴿الزُّجَاجَةُ﴾ وذلك صدر المؤمن الذي فيه قلبه ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾.

... وقوله: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ يقول تعالى ذكره: يوفق الله لاتباع نوره، وهو هذا القرآن، من يشاء من عباده. وقوله: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ يقول: ويمثل الله الأمثال والأشباه للناس، كما مثل لهم مثل هذا القرآن في قلب المؤمن بالمصباح في المشكاة، وسائر ما في هذه الآية من الأمثال.

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يقول: والله يضرب الأمثال، وغيرها من الأشياء

كلها، ذو علم».

وقال ابن كثير رحمته الله (٥٧/٦): « واختار هذا القول ابن جرير، رحمته الله...
أي: نوري هداي.

وروى ابن أبي حاتم: عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾
قال: هي وسط الشجر، لا تصيبها الشمس شرقا ولا غربا. **إسناده صحيح.**

وقوله: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ أي: يرشد الله إلى هدايته من يختاره».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً

كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ

رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ

كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُشِيبُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا

بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا

يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ [إبراهيم]

يضرب الله تعالى برحمته سبحانه مثلاً لتوحيده والإيمان به، ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً

﴾، قيل: لا إله إلا الله، وقيل: الإيمان بالله، وهذا أعم وأشمل.

وقوله تعالى: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ قيل: شجرة: النخلة، وهو الأصوب

للحديث الصحيح عن بن عمر ولما ثبت عن أنس من قوله، وقيل: شجرة في الجنة.

ومعنى ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ أي: في الأرض، ﴿وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي في العلو
تؤتي أكلها كل حين قيل كل ستة أشهر، وقيل كل سنة، وقيل غدوة وعشية وهذا
هو الأقرب، ومعناه أنها توتي أكلها غدوة وعشية في أيام نضجها.

وهذا مثل عظيم وتأويله أن المؤمن ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾، وَمَنْ
توحيده ثابت كامل لا يتزعزع، ﴿وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي وغايتها في السماء،
فكذلك المؤمن أصل عمله في الأرض ويرتفع إلى السماء، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ
الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

وكذلك العمل الصالح لا يكون صالحاً حتى يكون المراد به وجه الله
ومرضاته.

وتأويل ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ أي عمل المؤمن كل حين وفي كل ساعة
بإذن مولاه وتوفيقه ورحمته، والتوحيد ثمرته كل ساعة:

وكما حدثنا أبو عاصم، أنه حدثه رجل من أهل الصلاح كان يجالس الشيخ ابن
باز رحمته الله، فقال له: يا شيخ أرأيت عملك من الصباح حتى المساء من عمل إلى
عمل ومن درس إلى منفعة مع كبر سنك؟ فقال الشيخ ابن باز: يا بني الإخلاص
لله يهون العمل ويسهله - أو نحو هذا -.

هذا مثل المنافقين الذين عرفوا الحق فأمنوا به ثم كفروا، أو عرفوه ثم أظهروه
وأبطنوا الكفر.

فقال ابن كثير: «يقال مثل ومثل، وقيل والجمع أمثال، قال الله: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت].»

وتقرير هذا المثل أن الله سبحانه شبههم في اشتراطهم الضلالة بالهدى وصيرورتهم بعد التبصرة إلى العمى بمن استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله...».

قلت: وفي هذا المثل من الفوائد:

أن المنافقين خطرهم أكبر من خطر الكفار والملحدين لأنهم بين أهل الحق وأمرهم خافٍ على عوام الناس.

وأن الله ذكرهم وأطال في وصفهم أكثر من الكفار فالكفار في آيتين والمنافقين في ثلاث عشرة آية.

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (١٦/٥٦٦): «وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾، يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تر، يا محمد، بعين قلبك، فتعلم كيف مثل الله مثلاً وشبهه شبيهاً ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾، ويعني بالطيبة: الإيمان به جل ثناؤه، كشجرة طيبة الثمرة، وترك ذكر «الثمرة» استغناء بمعرفة السامعين عن ذكرها بذكر «الشجرة». وقوله: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾، يقول عز ذكره: أصل هذه الشجرة ثابت في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا﴾، وهو أعلاها، ﴿فِي السَّمَاءِ﴾، يقول: مرتفع علواً نحو السماء. وقوله: ﴿تُوْتِي

أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴿﴾، يقول: تطعم ما يؤكل منها من ثمرها كل حين بأمر ربها ﴿﴾ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ﴿﴾، يقول: ويمثل الله الأمثال للناس، ويشبه لهم الأشباه ﴿﴾ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿﴾، يقول: ليتذكروا حُجَّةَ الله عليهم، فيعتبروا بها ويتعظوا، فينزعوا عما هم عليه من الكفر به إلى الإيمان».

وقد نقل ابن جرير اختلاف أهل التأويل في المعنى بالكلمة الطيبة.

«فقال بعضهم: عني بها إيمانُ المؤمن.

وقال آخرون: بل عني بها المؤمن نفسه.

واختلفوا في هذه «الشجرة» التي جعلت للكلمة الطيبة مثلاً.

فقال بعضهم: هي النخلة. وقال آخرون: بل هي شجرة في الجنة.

قال أبو جعفر: وأولى القولين بالصواب في ذلك قول من قال: هي «النخلة»،

لصحّة الخبر عن رسول الله ﷺ.

قلت: وقيل هي جوز الهند وهي كالنخلة في صفاتها غير أنها تثمر طوال السنة

وثمرتها ليس تمراً.

قال ابن كثير رحمته الله (٤/٤٩٣): «والظاهر من السياق: أن المؤمن مثله كمثل

شجرة، لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت من صيف أو شتاء، أو ليل أو نهار،

كذلك المؤمن لا يزال يرفع له عمل صالح آناء الليل وأطراف النهار في كل وقت

وحين.

﴿يَا ذِينَ رَبِّهَا﴾ أي: كاملا حسنا كثيرا طيبا، ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

وقوله: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هذا مثل كفر الكافر، لا أصل له ولا ثبات، وشبهه بشجرة الحنظل، ويقال لها: «الشريان». [رواه شعبة، عن معاوية بن قرة، عن أنس بن مالك: أنها شجرة الحنظل].

وقوله: ﴿أَجْتُنَّتْ﴾ أي: استؤصلت ﴿مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ أي: لا أصل لها ولا ثبات، كذلك الكفر لا أصل له ولا فرع، ولا يصعد للكافر عمل، ولا يتقبل منه شيء.

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٧).

قال السعدي رحمه الله (٤٢٥): «تُوِّجَ أَكْلُهَا﴾ أي: ثمرتها ﴿كُلَّ حِينٍ يَأْذِنُ رَبِّهَا﴾ فكذلك شجرة الإيمان، أصلها ثابت في قلب المؤمن، علما واعتقادا. وفرعها من الكلم الطيب والعمل الصالح والأخلاق المرضية، والآداب الحسنة في السماء دائما يصعد إلى الله منه من الأعمال والأقوال التي تخرجها شجرة الإيمان ما ينتفع به المؤمن وينفع غيره، ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ما أمرهم به ونهاهم عنه، فإن في ضرب الأمثال تقريبا للمعاني المعقولة من الأمثال المحسوسة، ويتبين المعنى الذي أراده الله غاية البيان، ويتضح غاية الوضوح، وهذا من رحمته وحسن تعليمه. فله أتم الحمد وأكمله وأعمه،

فهذه صفة كلمة التوحيد وثباتها، في قلب المؤمن.

ثم ذكر ضدها وهي كلمة الكفر وفروعها فقال: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَيْثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيْثَةٍ﴾ المأكل والمطعم وهي: شجرة الحنظل ونحوها، ﴿أَجْتُتْ﴾ هذه الشجرة ﴿مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ أي: من ثبوت فلا عروق تمسكها، ولا ثمرة صالحة، تنتجها، بل إن وجد فيها ثمرة، فهي ثمرة خبيثة، كذلك كلمة الكفر والمعاصي، ليس لها ثبوت نافع في القلب، ولا تثمر إلا كل قول خبيث وعمل خبيث يستضر به صاحبه، ولا ينتفع، فلا يصعد إلى الله منه عمل صالح ولا ينفع نفسه، ولا ينتفع به غيره.

وانظر شرح نحو هذا المثل في قسم الحديث.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (٣٧٧/٢٣): «مثل الذين أوتوا التوراة من

اليهود والنصارى، فحملوا العمل بها.

﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ يقول: ثم لم يعملوا بها فيها، وكذبوا بمحمد صلوات الله عليه، وقد

أمروا بالإيمان به فيها واتباعه والتصديق به.

﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ يقول: كمثل الحمار يحمل على ظهره كتباً من كتب العلم، لا ينتفع بها، ولا يعقل ما فيها، فكذلك الذين أوتوا التوراة التي فيها بيان أمر محمد ﷺ مثلهم إذا لم ينتفعوا بما فيها، كمثل الحمار الذي يحمل أسفاراً فيها علم، فهو لا يعقلها ولا ينتفع بها.

وقال ابن كثير رحمته الله (١١٧/٨): «يقول تعالى ذاماً لليهود الذين أعطوا

التوراة وحملوها للعمل بها، فلم يعملوا بها، مثلهم في ذلك ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾، أي: كمثل الحمار إذا حمل كتباً لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملاً حسياً ولا يدري ما عليه. وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه، حفظوه لفظاً ولم يفهموه ولا عملوا بمقتضاه، بل أولوه وحرفوه وبدلوه، فهم أسوأ حالاً من الحمير؛ لأن الحمار لا يفهم له، وهؤلاء لهم فهم لم يستعملوها؛ ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾

[الأعراف: ١٧٩] وقال هاهنا: ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾.

قال ابن القيم رحمته الله [كما في «شرح الأمثال» (ص ٢٦)]: ففاس سبحانه من حملة كتابه ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه ثم خالف ذلك ولم يحمله إلا على ظهر قلب فقرأه به بغير تدبر ولا تفهم ولا اتباع له ولا تحكيم له، وعمل بموجبه كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها، وحظه منها حملها على ظهره ليس إلا؛ فحظه من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره.

فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل

القرآن فترك العمل به ولم يؤد حقه ولم يرعه حق رعايته».

وقال الشنقيطي [كما في «أضواء البيان» (٨/ ٢٥٢)]: «هذا مثل ضربه الله لليهود، وهو أنه شبههم بحمار، وشبه التوراة التي كلفوا العمل بها فيها بأسفار أي كتب جامعة للعلوم النافعة، وشبه تكليفهم بالتوراة: بحمل ذلك الحمال لتلك الأسفار، فكما أن الحمار لا يتفجع بتلك العلوم النافعة التي في تلك الكتب المحمولة على ظهره، فكذلك اليهود لم ينتفعوا بما في التوراة من العلوم النافعة لأنهم كلفوا باتباع محمد ﷺ وإظهار صفاته للناس فخانوا وحرفوا وبدّلوا فلم ينفعهم ما في كتابهم من العلوم؛ اهـ.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا

فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثُ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ﴿١٧٧﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِىٰ وَمَنْ يُضِلِّمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [الأعراف].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ (١٣/ ٢٥٩): «أما قوله: ﴿فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾، فإنه يعني: خرج من الآيات التي كان الله آتاها إياه، فتبرأ منها.

وقوله: ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾، يقول: فصيرَه لنفسه تابِعًا ينتهي إلى أمره في

معصية الله، ويخالف أمر ربه في معصية الشيطان وطاعة الرحمن.

قوله: ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ ، يقول: فكان من الهالكين، لضلاله وخلافه أمر ربه، وطاعة الشيطان».

ثم روى ابن جرير الطبري رحمته الله (٢٦١/١٣) عن مجاهد: ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ﴾ قال: تطرده، هو مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل به. **إسناده صحيح.**

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (٢٧٣/١٣): «قال: أبو جعفر: وأولى التأويلين في ذلك بالصواب، تأويل من قال: إنما هو مثلٌ لتركه العمل بآيات الله التي آتاها إياه، وأن معناه: سواء وعظ أو لم يوعظ، في أنه لا يترك ما هو عليه من خلافه أمر ربه، كما سواءٌ حمل على الكلب وطرد أو ترك فلم يطرد، في أنه لا يدع اللهث في كلتا حالتيه.

ثم قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: هذا المثل الذي ضربته لهذا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها، مثل القوم الذين كذبوا بحجبتنا وأعلامنا وأدلتنا، فسلخوا في ذلك سبيل هذا المنسلخ من آياتنا الذي آتيناه إياه، في تركه العمل بما آتيناه من ذلك».

وقال ابن القيم رحمته الله [كما في «شرح الأمثال» (ص ٢٧)]: «قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ فَكَلَّمْنَا كَمَا نَلَّمُ الْكَلْبَ إِنْ

تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثٌ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثٌ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا
 فَأَقْصَصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ فشبّه سبحانه من آتاه كتابه وعلمه العلم
 الذي منعه غيره فترك العمل به واتبع هواه وأثر سخط الله على رضاه ودينه على
 آخرته والمخلوق على الخالق بالكلب، الذي هو من أخبث الحيوانات وأوضعها
 قدرا وأخبثها نفسا، وهيمته لا تتعدى بطنه، وأشدّها شرها وحرصا، ومن حرصه
 أنه لا يمشي إلا وخطمه في الأرض يتشمم ويتروح حرصا وشرها، ولا يزال يشم
 دبره دون سائر أجزائه، وإذا رميت له بحجر رجع إليه ليعضه من فرط نهمته،
 وهو من أمهن الحيوانات وأحملها للهوان وأرضاها بالدنايا، والجيف المروحة
 أحب إليه من اللحم الطري والقذرة أحب إليه من الحلوى، وإذا ظفر بميتة تكفي
 مائة كلب لم يدع كلبا يتناول معه منه شيئا إلا هزّ عليه وقهره لحرصه وبخله
 وشره، ومن عجيب أمره وحرصه أنه إذا رأى ذا هيئة رثة وثياب دنية وحال زرية
 نبحه وحمل عليه كأنه يتصور مشاركته له ومنازحته في قوته، وإذا رأى ذا هيئة
 حسنة وثياب جميلة ورتاسة وضع له خطمه بالأرض وخضع له ولم يرفع إليه
 رأسه.

وفي تشبيهه من أثر الدنيا وعاجلها على الله والدار الآخرة مع وفور علمه
 بالكلب في لهته سر بديع: وهو أن الذي حاله ما ذكره الله من انسلاخه من آياته
 واتباعه هواه إنما كان لشدة لهفه على الدنيا لانقطاع قلبه عن الله والدار الآخرة فهو
 شديد اللهف عليها، ولهفه نظير لهف الكلب الدائم في حال إزعاجه وتركه.

واللهف واللهث شقيقان وأخوان في اللفظ والمعنى؛ قال ابن جريج: «الكلب

منقطع الفؤاد لا فؤاد له، ﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، فهو مثل الذي يترك الهدى لا فؤاد له إنما فؤاده ينقطع».

قال ابن كثير رحمته الله (٣/ ٥١١): «وقوله تعالى: ﴿فَشَلُّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثْ﴾ قيل: معناه: فصار مثله في ضلاله واستمراره فيه، وعدم انتفاعه بالدعاء إلى الإيثار وعدم الدعاء، كالكلب في لهته في حالتيه، إن حملت عليه وإن تركته، هو يلهث في الحالين، فكذلك هذا لا يتنفع بالموعظة والدعوة إلى الإيثار ولا عدمه؛ كما قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]، ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] ونحو ذلك.

وقال الشوكاني رحمته الله [في «فتح القدير» (٣/ ١٢٠)]: «قوله: ﴿فَشَلُّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ أي: فصار لما انسلخ عن الآيات ولم يعمل بها منحطاً إلى أسفل رتبة، مشابهاً لأخس الحيوانات في الدناءة مماثلاً له في أقبح أوصافه، وهو أنه يلهث في كلا حالتي قصد الإنسان له وتركه. فهو لاهث سواء زجر أو ترك، طرد أو لم يطرد، شد عليه أو لم يشد عليه، وليس بعد هذا في الخسة والدناءة شيء، وجملة ﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثْ﴾ في محل نصب على الحال، أي مثله كمثل الكلب حال كونه متصفاً بهذه الصفة، والمعنى: أن هذا المنسلخ عن الآيات لا يرعوى عن المعصية في جميع أحواله، سواء وعظه الواعظ، وذكره المذكر، وزجره الزاجر، أو لم يقع شيء من ذلك».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً

يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ

وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ [النحل]

قال ابن كثير رحمه الله (٤/ ٦٠٧): «هذا مثل أريد به أهل مكة، فإنها كانت آمنة

مطمئنة مستقرة يتخطف الناس من حولها، ومن دخلها آمن لا يخاف، كما قال

تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن نَّبِيعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُخَطِّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا

يُجِئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [القصص: ٥٧] وهكذا قال هاهنا: ﴿يَأْتِيهَا

رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ أي: هنيئها سهلا، ﴿مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ أي:

جحدت آلاء الله عليها وأعظم ذلك بعثة محمد صلى الله عليه وسلم إليهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَر

إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَبَسَّ

الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ [إبراهيم].

ولهذا بدّهم الله بحالهم الأولين خلافها، فقال: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ

وَالْخَوْفِ﴾ أي: ألبسها وأذاقها الجوع بعد أن كان يجبي إليهم ثمرات كل شيء،

ويأتيها رزقها رغداً من كل مكان، وذلك لما استعصوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوا

إلا خلافه، فدعا عليهم بسبع كسبع يوسف، فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء لهم،

فأكلوا العلهز وهو: وبر البعير، يجعل بدمه إذا نحروه.».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ

مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (١٥١/٢٠) : حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن

عليه، عن أبي رجاء، قال: سألت الحسن عن هذه الآية. ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ قال: لو جعل شجر الأرض أقلاما، وجعل البحور مدادا، وقال الله: إن من أمري كذا، ومن أمري كذا، لنفد ماء البحور، وتكسرت الأقلام.

إسناده صحيح.

وقال ابن كثير رحمته الله (٣٤٨/٦) : «يقول تعالى مخبرا عن عظمته وكبريائه وجلاله، وأسمائه الحسنی وصفاته العلا وكلماته التامة التي لا يحيط بها أحد، ولا اطلاع لبشر على كنهها وإحصائها، كما قال سيد البشر وخاتم الرسل: «لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [أي: ولو أن جميع أشجار الأرض جعلت أقلاما، وجعل البحر مدادا ومده سبعة أبحر] معه، فكتبت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله لتكسرت الأقلام، ونفد ماء البحر، ولو جاء أمثالها مددا.

وإنما ذكرت «السبعة» على وجه المبالغة، ولم يرد الحصر ولا [أن] ثم سبعة أبحر موجودة تحيط بالعالم، كما يقوله من تلقاه من كلام الإسرائيليين التي لا تصدق ولا تكذب، بل كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَدَ

أَلْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَفْدَكَ كَمَتَّ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿ [الكهف: ١٠٩] ، فليس المراد بقوله: ﴿بِمِثْلِهِ﴾ آخر فقط، بل بمثله ثم بمثله ثم بمثله، ثم هلم جرا؛ لأنه لا حصر لآيات الله وكلماته.

باب بيان المثل في قول الله تعالى ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفْسٍ وَاحِدَةً ﴾

[لقمان: ٢٨]

مثل الله تعالى بعث الناس بالنسبة إلى قده وقوته وإرادته إلا كبعث نفس واحدة.

قال ابن جرير الطبري (١٥٣/٢٠) : «يقول تعالى ذكره: ما خلقكم أيها الناس ولا بعثكم على الله إلا كخلق نفس واحدة وبعثها، وذلك أن الله لا يتعذر عليه شيء أراده، ولا يمتنع منه شيء شاءه ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس]، فسواء خلق واحد وبعثه، وخلق الجميع وبعثهم.

وقال: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثني أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿ كَفْسٍ وَاحِدَةً ﴾ يقول: كن فيكون للقليل والكثير. **إسناده صحيح.**

ثم روى عن عن قتادة قوله: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفْسٍ وَاحِدَةً ﴾ قال: يقول: إنما خلق الله الناس كلهم وبعثهم كخلق نفس واحدة وبعثها، وإنما صلح أن يقال: إلا كنفس واحدة، والمعنى: إلا كخلق نفس واحدة؛ لأن

المحذوف فعل يدلّ عليه قوله: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ ﴾ والعرب تفعل ذلك في المصادر، ومنه قول الله: ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ والمعنى: كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت، فلم يذكر الدوران والعين لما وصفت «
إسناده صحيح.

قال الشوكاني [في «فتح القدير» (٥/٤٩٥)]: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ أي إلا كخلق نفس واحدة، وبعثها.

وقال ابن كثير رحمه الله (٦/٣٤٨): «وقوله: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ أي: ما خلق جميع الناس وبعثهم يوم المعاد بالنسبة إلى قدرته إلا كنسبة [خلق] نفس واحدة، الجميع هين عليه و﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس]، ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ [القمر] أي: لا يأمر بالشيء إلا مرة واحدة، فيكون ذلك الشيء لا يحتاج إلى تكرره وتوكده. ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ [النازعات].»

قال الشنقيطي [في «أضواء البيان» (١/٤٩)]: «في قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ ﴾ الآية [البقرة: ٧٣].»

أشار في هذه الآية إلى أن إحياء قتيل بني إسرائيل دليل على بعث الناس بعد الموت. لأن من أحيا نفساً واحدة بعد موتها قادر على إحياء جميع النفوس. وقد صرح بهذا في قوله: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ
 نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۗ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ
 فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ
 الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ
 فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ
 فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿التحریم﴾

قال ابن جرير الطبري رحمه الله (٢٣/٤٩٧): «يقول تعالى ذكره: مثل الله مثلا
 للذين كفروا من الناس وسائر الخلق امرأة نوح وامرأة لوط، كانتا تحت عبدين
 من عبادنا، وهما نوح ولوط فخانتاهما.

ذكر أن خيانة امرأة نوح زوجها أنها كانت كافرة، وكانت تقول للناس: إنه
 مجنون. وأن خيانة امرأة لوط، أن لوطاً كان يسرّ الضيف، وتدلّ عليه.

وقوله: ﴿فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ يقول: فلم يغن نوح ولوط
 عن امرأتيهما من الله لما عاقبهما على خيانتها أزواجهما شيئاً، ولم ينفعهما أن كانت
 أزواجهما أنبياء.

وضرب الله مثلا للذين صدقوا الله ووحده، امرأة فرعون التي آمنت بالله
 ووحده، وصدقت رسوله موسى، وهي تحت عدو من أعداء الله كافر، فلم

يضرّها كفر زوجها، إذ كانت مؤمنة بالله، وكان من قضاء الله في خلقه أن لا تزر وازرة وزر أخرى، وأن لكل نفس ما كسبت.

قال ابن كثير رحمته الله في المثل الثاني (١٧٢ / ٨): «وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم، كما قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتًا﴾ [آل عمران: ٢٨].

قال: قتادة كان فرعون أعتى أهل الأرض وأبعده فوالله ما ضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها لتعلموا أن الله حكمٌ عدل، لا يؤاخذ أحداً إلا بذنبه».

قال ابن القيم رحمته الله [كما في «شرح الأمثال» (ص ٥٥)]: «فاشتملت هذه الآيات على ثلاثة أمثال: مثل للكافر ومثلين للمؤمنين:

فتضمن مثل الكفار أن الكافر يعاتب على كفره وعداوته لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأوليائه ولا ينفعه مع كفره ما كان بينه وبين المؤمنين من لحمة نسب أو وصلة صهر أو سبب من سبب الاتصال، فإن الأسباب [كلها] تنقطع يوم القيامة إلا ما كان منها متصلاً بالله وحده على أيدي رسله عليهم الصلاة والسلام فلو نفعت وصلة القرابة والمصاهرة والنكاح مع عدم الايمان لنفعت الصلة التي كانت بين نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام وامراتيهما فلما لم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل لهما ادخلا النار مع الداخلين، فقطعت الآية حيثذ طمع من ارتكب معصية الله تعالى وخالف أمره ورجا أن ينفعه صلاح غيره من قريب أو أجنبي ولو كان بينهما في الدنيا أشد الاتصال؛ فلا اتصال فوق اتصال النبوة والأبوة والزوجية، ولم

يغن نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن ابنه، ولا إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن أبيه، ولا نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام عن امرأتيهما من الله شيئاً، قال الله تعالى: ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [المتحنة: ٣]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ [الانفطار]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْتَقُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان: ٣٣]، وهذا كله تكذيب لأطماع المشركين الباطلة أن من تعلقوا به من دون الله من قرابة أو صهر أو نكاح أو صحبة تنفعهم يوم القيامة أو تجيرهم ولا من عذاب الله تعالى أو تشفع لهم عند الله تعالى وهذا أصل ضلال بني آدم وشركهم وهو الشرك الذي لا يغفره الله، وهو الذي بعث الله تعالى جميع رسله عليهم الصلاة والسلام وأنزل جميع كتبه بإبطاله ومحاربة أهله ومعاداتهم.

فصل: وأما المثلان اللذان للمؤمنين:

فأحدهما: امرأة فرعون، ووجه المثل: أن اتصال المؤمن بالكافر لا يضره شيئاً إذا فارقه في كفره وعمله، فمعصية العاصي لا تضر المطيع شيئاً في الآخرة وإن تضرر بها في الدنيا بسبب العقوبة التي تحل بأهل الأرض إذا أضاعوا أمر الله عَزَّوَجَلَّ فتأتي عامة، فلم يضر امرأة فرعون اتصالها به وهو من أكفر الكافرين، ولم ينفع امرأة نوح ولوط اتصالهما بهما وهما رسولا رب العالمين.

المثل الثاني للمؤمنين: مريم التي لا زوج لها، لا مؤمن ولا كافر فذكر ثلاثة

أصناف النساء: المرأة الكافرة التي لها وصلة بالرجل الصالح والمرأة الصالحة التي لها وصلة بالرجل الكافر والمرأة العزبة التي لا وصلة بينها وبين أحد، فالأولى لا تنفعها وصلتها وسببها والثانية لا تضرها وصلتها وسببها، والثالثة لا يضرها عدم الصلة شيئاً ثم في هذه الأمثال من الأسرار البديعة ما يناسب سياق السورة فإنها سقت في ذكر أزواج النبي ﷺ والتحذير من تظاهرها عليه وأنهن إن لم يطعن الله ورسوله ﷺ ويردن الدار الآخرة لم ينفعهن اتصاهن برسول الله ﷺ كما لم ينفع امرأة نوح ولو ط اتصاهما بهما، ولهذا ضرب لهما في هذه السورة مثل اتصال النكاح دون القرابة، قال يحيى بن سلام: «ضرب الله المثل الأول يجر عائشة وحفصة، ثم ضرب لهما المثل الثاني يجرهما على التمسك بالطاعة». وفي ضرب المثل للمؤمنين - بمريم - أيضاً اعتبار آخر وهو أنها لم يضرها عند الله شيئاً قذف أعداء الله تعالى اليهود لها ونسبتهم إياها وابنها إلى ما برأهما الله عنه مع كونها الصديقة الكبرى المصطفاة على نساء العالمين، فلا يضر الرجل الصالح قذف الفجار والفساق فيه، وفي هذا تسلية لعائشة أم المؤمنين إن كانت السورة نزلت بعد قصة الإفك، وتوطين نفسها على ما قال فيها الكاذبون إن كانت قبلها. كما في التمثيل بامرأة نوح ولو ط تحذير لها وحفصة مما اعتمدتاه في حق النبي ﷺ.

فتضمنت هذه الأمثال التحذير لهن، والتخويف والتحريض لهن على الطاعة والتوحيد، والتسلية وتوطين النفس لمن أودى منهن وكذب عليه، وأسرار التنزيل فوق هذا وأجل منه ولا سيما أسرار الأمثال التي لا يعقلها إلا العالمون».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَطَرِ أَهْلَهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَنَهَا آمُرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَعَنَّ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ [يونس]

قال ابن القيم رحمته الله [كما في «شرح الأمثال» (ص ١٢)]: « شبه سبحانه الحياة الدنيا في أنها تتزين في عين الناظر فتروقه بزيتها وتعجبه فيميل إليها ويهاها اغترارا منه بها، حتى إذا ظن أنه مالك لها قادر عليها سلبها بغتة أحوج ما كان إليها وحيل بينه وبينها، فشبها بالأرض الذي ينزل الغيث عليها فتعشب ويحسن نباتها ويروق منظرها للناظر فيغتر به ويظن أنه قادر عليها مالك لها، فيأتيها أمر الله فتدرك نباتها الآفة بغتة فتصبح كأن لم تكن قبل فيخيب ظنه وتصبح يدها صفرا منها؛ فهكذا حال الدنيا والوائق بها سواء، وهذا من أبلغ التشبيه والقياس.

فلما كانت الدنيا عرضة لهذه الآفات والجنة سليمة منها قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾ فسمها هنا دار السلام لسلامتها من هذه الآفات التي ذكرها في الدنيا، فعم بالدعوة إليها وخص بالهداية من شاء، فذلك عدله وهذا فضله.

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (١٥ / ٥٥): «قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: إنما مثل ما تباهون في الدنيا وتفخرون به من زيتها وأموالها، مع ما قد وكل بذلك من التكدير والتنغيص وزواله بالفناء والموت، كمثل ماء أنزلناه من السماء،

يقول: كمطر أرسلناه من السماء إلى الأرض ﴿فَأَخْنَلْطُ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾، يقول: فنبت بذلك المطر أنواع من النبات، مختلط بعضها ببعض.

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ يعني: ظهر حسنها وبهاؤها ﴿وَأَزْيَنْتَ﴾، يقول: وتزينت ﴿وَوَطَّ بِأَهْلُهَا﴾، يعني: أهل الأرض.

قال ابن كثير رحمه الله (٤/ ٢٦٠): «ضرب [تبارك و] تعالى مثلاً لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها، بالنبات الذي أخرجه الله من الأرض بما أنزل من السماء من الماء، مما يأكل الناس من زرع وثمار، على اختلاف أنواعها وأصنافها، وما تأكل الأنعام من أب وقضب وغير ذلك، ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ أي: زينتها الفانية، ﴿وَأَزْيَنْتَ﴾ أي: حسنت بما خرج من رباها من زهور نضرة مختلفة الأشكال والألوان، ﴿وَوَطَّ بِأَهْلُهَا﴾ الذين زرعوها وغرسوها ﴿أَنْتُمْ قَدَرُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: على جذاذها وحصادها فيناهم كذلك إذ جاءتها صاعقة، أو ريح بادرة، فأبيست أوراقها، وأتلفت ثمارها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا﴾ أي: يبسا بعد [تلك] الخضرة والنضارة، ﴿كَأَنَّ لَمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ﴾ أي: كأنها ما كانت حسناء قبل ذلك.

وقال قتادة: ﴿كَأَنَّ لَمْ تَعْنِ﴾ كأن لم تنعم.

وهكذا الأمور بعد زوالها كأنها لم تكن؛ ولهذا جاء في الحديث يؤتى بأنعم أهل الدنيا، فيغمس في النار غمسة ثم يقال له: هل رأيت خيراً قط؟ [هل مر بك نعيم

قط؟] فيقول: لا. ويؤتى بأشد الناس عذاباً في الدنيا فيغمس في النعيم غمسة، ثم يقال له: هل رأيت بؤسا قط؟ فيقول: لا. وقال تعالى إخباراً عن المهلكين: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَنِّمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ [هود: ٩٤، ٩٥].

ثم قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ﴾ أي: نبين الحجج والأدلة، ﴿لِقَوْمٍ يَنْفَكُرُونَ﴾ فيعتبرون بهذا المثل في زوال الدنيا من أهلها سريعاً مع اغترارهم بها، وتمكنهم بمواعيدها وتفلتتها منهم، فإن من طبعها الهرب ممن طلبها، والطلب لمن هرب منها، وقد ضرب الله مثل الحياة الدنيا بنبات الأرض، في غير ما آية من كتابه العزيز، فقال في سورة الكهف: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥]، وكذا في سورة الزمر والحديد يضرب بذلك مثل الحياة الدنيا كماء».

قال ابن كثير رحمه الله (٤ / ٢٦١): «وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ الآية: لما ذكر تعالى الدنيا وسرعة [عطبها و] زوالها، ورغب في الجنة ودعا إليها، وسماها دار السلام أي: من الآفات، والنقائص والنكبات، فقال: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقَدِّرًا ۝٤٥ ﴾ [الكهف]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (٣٠ / ١٨): «يقول عز ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم: واضرب لحياء هؤلاء المستكبرين الذين قالوا لك: اطرده عنك هؤلاء الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، إذا نحن جنناك الدنيا منهم مثلاً يقول: شبيها.

﴿ كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ يقول: كمطر أنزلناه من السماء.

﴿ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ﴾ يقول: فاختلط بالماء نبات الأرض.

﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا ﴾ يقول: فأصبح نبات الأرض يابساً متفتتاً.

﴿ تَذْرُوهُ الرِّيحُ ﴾ يقول: تطيره الرياح وتفرقه، يقال منه: ذرته الريح تذروه ذرواً، وذرته ذرياً، وأذرتة تذريه إذراء».

وقال ابن كثير رحمته الله (١٦١ / ٥): «يقول تعالى: ﴿ وَأَضْرَبَ ﴾ يا محمد للناس ﴿ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ في زوالها وفنائها وانقضائها ﴿ كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ﴾ أي: ما فيها من الحب، فشب وحسن، وعلاه الزهر والنور والنصرة ثم بعد هذا كله ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا ﴾ يابساً ﴿ تَذْرُوهُ الرِّيحُ ﴾ أي: تفرقه وتطرحه ذات اليمين وذات الشمال ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقَدِّرًا ﴾ أي: هو قادر على هذه الحال، وهذه الحال وكثيراً ما يضرب الله مثل الحياة الدنيا بهذا المثل كما في

سورة يونس: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ ﴿ الآية [يونس: ٢٤] ، وقال في سورة الزمر: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾ [الزمر] ، وقال في سورة الحديد: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتْعٌ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ [الحديد] .

وفي الحديث الصحيح: «الدنيا حلوة خضرة».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتْعٌ

الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ [الحديد]

يحقر الله الدنيا ويهونها ويضرب للناس لها مثلاً لعلمهم يتذكرون والله بكل شيء عليم.

فمثلها الله بالزرع المعجب للزرع لكثرة نباته وحسنه ثم يهيج فتراه مصفراً يابساً ثم يكون حطاماً.

وكذلك الدنيا ما هي إلا تكاثر وتفاخر ثم تنتهي وتزول، ويموت الناس ويتركون ما كانوا فيه يتنافسون، وعليه يتخاصمون، ومن أجله يعرضون، فما يجبرون منها شيئاً، وإنما يجدون الأعمال المفضية، أي عذاب شديد لمن اغتر بالدنيا ومغفرة ورضوان لمن علم بها وعلم بحالها وحقيقتها، نعوذ بالله من فتنة الدنيا وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال.

وقال ابن جرير الطبري رحمته الله (١٩٣ / ٢٣) : «يقول تعالى ذكره: اعلموا أيها الناس إن متاع الحياة الدنيا المعجلة لكم، ما هي إلا لعب وهو تتفكّهون به، وزينة تترينون بها، وتفاخر بينكم، يفخر بعضكم على بعض بما أولى فيها من رياشها.

﴿وَتَكَاثَرُوا فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ يقول تعالى ذكره: وبهاهي بعضكم بعضا بكثرة الأموال والأولاد.

﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم يبیس ذلك النبات.

﴿فَتَرْتَبُهَا مُمَصَّرًا﴾ بعد أن كان أخضر نضرا.

وقوله: ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ يقول تعالى ذكره: ثم يكون ذلك النبات حطاما، يعني به: أنه يكون نباتا يابساً متهشما.

﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وفي الآخرة عذاب شديد للكفار.

﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ لأهل الإيمان بالله ورسوله.

ثم روى عن قتادة، قوله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهْوٌ﴾... الآية، يقول: صار الناس إلى هذين الحرفين في الآخرة. **إسناده صحيح.**

وكان بعض أهل العربية يقول في قوله: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ ذكر ما في الدنيا، وأنه على ما وصف، وأما الآخرة فإنها إما عذاب، وإما جنة. قال: والواو فيه وأو بمنزلة واحدة.

وقوله: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ يقول تعالى ذكره: وما زينة الحياة الدنيا المعجلة لكم أيها الناس، إلا متاع الغرور.

قال ابن كثير رحمته الله (٢٤ / ٨): «يقول تعالى موهنًا أمر الحياة الدنيا ومحقرًا لها: ﴿أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ أي: إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا، كما قال: ﴿زِينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ﴾ [آل عمران: ١٤].

ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة فقال: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ وهو: المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس، كما قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ [الشورى: ٢٨].

وقوله: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ﴾ أي: يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث؛ وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار، فإنهم

أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها، ﴿ثُمَّ يَهِيْجُ فترتهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُوْنُ حَطْمًا﴾
 أي: يهيج ذلك الزرع فتراه مصفرًا بعد ما كان خضرًا نضرا، ثم يكون بعد ذلك
 كله حطامًا، أي: يصير يبسًا متحطمًا، هكذا الحياة الدنيا تكون أولا شابة، ثم
 تكتهل، ثم تكون عجوزًا شوهاء، والإنسان كذلك في أول عمره وعنفوان شبابه
 غضبا طريًا لين الأعطاف، بهي المنظر، ثم إنه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه وينفذ
 بعض قواه، ثم يكبر فيصير شيخًا كبيرًا، ضعيف القوى، قليل الحركة، يعجزه
 الشيء اليسير، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ
 قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].
 ولما كان هذا المثل دالا على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة
 كائنة لا محالة، حذر من أمرها ورغب فيها فيها من الخير، فقال: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ
 شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ أي: وليس في
 الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا: إما عذاب شديد، وإما مغفرة من الله
 ورضوان.

وقوله: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ أي: هي متاع فانٍ غارٍ لمن ركن
 إليه فإنه يغتر بها وتعجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها ولا معاد وراءها، وهي
 حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾ [الرعد].

قيل: كمتاع المسافر.

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (١٦ / ٤٣٠): «قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: الله يوسع على من يشاء من خلقه في رزقه، فيبسط له منه لأن منهم من لا يصلحه إلا ذلك ﴿وَيَقْدِرُ﴾، يقول: ويقتر على من يشاء منهم في رزقه وعيشه، فيضيّقه عليه، لأنه لا يصلحه إلا الإقتار.

﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، يقول تعالى ذكره: وفرح هؤلاء الذين بسط لهم في الدنيا من الرزق على كفرهم بالله ومعصيتهم إياه بما بسط لهم فيها، وجهلوا ما عند الله لأهل طاعته والإيمان به في الآخرة من الكرامة والنعيم.

ثم أخبر جلّ ثناؤه عن قدر ذلك في الدنيا فيما لأهل الإيمان به عنده في الآخرة وأعلم عباده قلته، فقال: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾، يقول: وما جميع ما أعطى هؤلاء في الدنيا من السعة وبسط لهم فيها من الرزق ورغد العيش، فيما عند الله لأهل طاعته في الآخرة ﴿إِلَّا مَتَعٌ﴾ قليل، وشيء حقير ذاهب. كما:

حدثنا الحسن بن محمد، قال، حدثنا شبابة قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿إِلَّا مَتَعٌ﴾ قال: قليل ذاهب. **إسناده صحيح.**

وحدثنا إسحاق قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن

مجاهد: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾، قال: قليلٌ ذاهبٌ. **إسناده صحيح.**

وقال ابن كثير رحمته الله (٤/ ٤٥٤): «كما قال: ﴿قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧].»

عن المستورد أخي بني فهر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم، فلينظر بم ترجع» وأشار بالسبابة. ورواه مسلم في صحيحه وأحمد.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ بَثَلٍ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [الرعد]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (١٦/ ٤٠٨): « وهذا مثل ضرب به الله للحق والباطل، والإيمان به والكفر.

يقول تعالى ذكره: مثل الحق في ثباته والباطل في اضمحلاله، مثل ماء أنزله الله من السماء إلى الأرض.

﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾، يقول: فاحتملته الأودية بملئها، الكبير بكبره، والصغير بصغره.

﴿ فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ﴾، يقول: فاحتمل السيل الذي حدث عن ذلك الماء

الذي أنزله الله من السماء، زبدًا عاليًا فوق السيل.

فهذا أحد مثلي الحقِّ والباطل، فالحق هو الماء الباقي الذي أنزله الله من السماء، والزبد الذي لا ينتفع به هو الباطل.

والمثل الآخر: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ﴾ يقول جل ثناؤه: ومثل آخر للحقِّ والباطل، مثل فضة أو ذهب يوقد عليها الناس في النار طلب حلية يتخذونها أو متاع، وذلك من النحاس والرصاص والحديد، يوقد عليه ليتخذ منه متاع ينتفع به.

﴿زَبْدٌ مِّثْلُهُ﴾، يقول تعالى ذكره: ومما يوقدون عليه من هذه الأشياء زبد مثله، يعني: مثل زبد السيل لا ينتفع به ويذهب باطلا كما لا ينتفع بزبد السيل ويذهب باطلا.

ورفع «الزبد» بقوله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾.

ومعنى الكلام: ومما يوقدون عليه في النار زبدٌ مثل زبد السيل في بطول زبده، وبقاء خالص الذهب والفضة.

يقول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾، يقول: كما مثل الله مثل الإيمان والكفر، في بطول الكفر وخيبة صاحبه عند مجازاة الله، بالباقي النافع من ماء السيل وخالص الذهب والفضة، كذلك يمثل الله الحق والباطل.

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ يقول: فأما الزبد الذي علا السيل والذهب

والفضة والنحاس والرصاص عند الوقود عليها، فيذهب بدفع الرياح وقذف الماء به، وتعلقه بالأشجار وجوانب الوادي.

﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ من الماء والذهب والفضة والرصاص والنحاس، فالماء يمكن في الأرض فتشربه، والذهب والفضة تمكث للناس.

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ يقول: كما مثل هذا المثل للإيمان والكفر، كذلك يمثل الأمثال.

قال ابن القيم رحمته الله [كما في «شرح الأمثال» (ص ١١)]: «في شرح قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ...﴾ الآية [البقرة: ١٧]: وقد ذكر سبحانه المثليين المائي والناري في سورة الرعد ولكن في حق المؤمنين فقال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ شبه الوحي الذي أنزله حياة القلوب والأسماع والأبصار بالماء الذي أنزله حياة الأرض بالنبات.

وشبه القلوب بالأودية: فقلب كبير يسع علما عظيما كواد كبير يسع ماء كثيرا، وقلب صغير إنما يسع بحسبه كالوادي الصغير. فسالت أودية بقدرها واحتملت قلوب من الهدى والعلم بقدرها، كما أن السيل إذا خالط الأرض ومر عليها احتملت غثاء وزبدا، فكذلك الهدى والعلم إذا خالط القلوب أثار ما فيها من الشهوات والشبهات ليقلعها ويذهبها كما يثير الدواء وقت شربه من البدن

أخلطه فتكرب عنه بها شاربه وهي من تمام نفع الدواء فإنه أثارها ليذهب بها فإنه لا يجامعها ولا يساكنها، وهكذا ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾.

ثم ذكر المثل الناري فقال: ﴿وَمَا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ﴾ وهو الخبث الذي يخرج عند سبك الذهب والفضة والنحاس والحديد، فتخرجه النار وتميزه وتفصله عن الجوهر الذي ينتفع به فيرمى وي طرح ويذهب جفاء فكذلك الشهوات والشبهات يرميها قلب المؤمن وي طرحها ويجفوها كما ي طرح السيل والنار ذلك الزبد والغثاء والخبث، ويستقر في قرار الوادي الماء الصافي الذي يسقي منه الناس ويزرعون ويسقون أنعامهم، كذلك يستقر في قرار القلب وجذره الإيمان الخالص الصافي الذي ينفع صاحبه وينتفع به غيره.

ومن لم يفقه هذين المثلين ولم يتدبرهما ويعرف ما يراد منهما فليس من أهلها، والله الموفق».

وقال ابن كثير رحمته الله (٤/٤٤٧) : «اشتملت هذه الآية الكريمة على مثلين مضروبين للحق في ثباته وبقائه، والباطل في اضمحلاله وفنائه، فقال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي: مطرا، ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ أي: أخذ كل واد بحسبه، فهذا كبير وسع كثيرا من الماء، وهذا صغير فوسع بقدره، وهو إشارة إلى القلوب وتفاوتها، فمنها ما يسع علما كثيرا، ومنها ما لا يتسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها، ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ أي: فجاء على وجه الماء الذي سال في هذه الأودية زبدٌ عال عليه، هذا مثل، وقوله: ﴿وَمَا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ هذا هو

المثل الثاني، وهو ما يسبك في النار من ذهب أو فضة.

﴿أَبْتِغَاءَ حَلِيَّةٍ﴾ أي: ليجعل حلية أو نحاسا أو حديداً، فيجعل متاعاً فإنه يعلوه زبد منه، كما يعلوه ذلك زبد منه.

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ أي: إذا اجتمعا لا ثبات للباطل ولا دوام له، كما أن الزبد لا يثبت مع الماء، ولا مع الذهب ونحوه مما يسبك في النار، بل يذهب ويضمحل؛ ولهذا قال: ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ أي: لا ينتفع به، بل يتفرق ويتمزق ويذهب في جانبي الوادي، ويعلق بالشجر وتنسفه الرياح. وكذلك خبث الذهب والفضة والحديد والنحاس يذهب، لا يرجع منه شيء، ولا يبقى إلا الماء وذلك الذهب ونحوه ينتفع به؛ ولهذا قال: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمَكُّهُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

قال بعض السلف: كنت إذا قرأت مثلاً من القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسي؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ﴿٤٣﴾.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾.

وقال ابن كثير رحمه الله (٤ / ٤٤٨): «هذا مثل ضربه الله، احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها، فأما الشك فلا ينفع معه العمل، وأما اليقين فينفع الله به

أهله. وهو قوله: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ وهو الشك، ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ﴾ وهو اليقين، وكما يجعل الحلي في النار فيؤخذ خالصه ويترك خبثه في النار؛ فكذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك.

فجعل ذلك مثل العمل الصالح يبقى لأهله، والعمل السيئ يضمحل عن أهله، كما يذهب هذا الزبد، فكذلك الهدى والحق جاء من عند الله، فمن عمل بالحق كان له، ويبقى كما يبقى ما ينفع الناس في الأرض. وكذلك الحديد لا يستطيع أن يعمل منه سكين ولا سيف حتى يدخل في النار فتأكل خبثه، ويخرج جيده فينتفع به. كذلك يضمحل الباطل إذا كان يوم القيامة، وأقيم الناس، وعرضت الأعمال، فيزيغ الباطل ويهلك، وينتفع أهل الحق بالحق.

وكذلك روي في تفسيرها عن مجاهد، والحسن البصري، وعطاء، وقتادة، وغير واحد من السلف والخلف.

وقال السعدي رحمته الله (١/ ٤١٥): «شبه تعالى الهدى الذي أنزله على رسوله لحياة القلوب والأرواح، بالماء الذي أنزله لحياة الأشباح، وشبه ما في الهدى من النفع العام الكثير الذي يضطر إليه العباد، بما في المطر من النفع العام الضروري، وشبه القلوب الحاملة للهدى وتفاوتها بالأودية التي تسيل فيها السيول، فواد كبير يسع ماء كثيرا، كقلب كبير يسع علما كثيرا، وواد صغير يأخذ ماء قليلا كقلب صغير، يسع علما قليلا وهكذا.

وشبه ما يكون في القلوب من الشهوات والشبهات عند وصول الحق إليها،

بالزبد الذي يعلو الماء ويعلو ما يوقد عليه النار من الحلية التي يراد تخليصها وسبكها، وأنها لا تزال فوق الماء طافية مكدرة له حتى تذهب وتضمحل، ويبقى ما ينفع الناس من الماء الصافي والحلية الخالصة.

كذلك الشبهات والشهوات لا يزال القلب يكرهها، ويجاهدها بالبراهين الصادقة، والإرادات الجازمة، حتى تذهب وتضمحل ويبقى القلب خالصا صافيا ليس فيه إلا ما ينفع الناس من العلم بالحق وإيثاره، والرغبة فيه، فالباطل يذهب ويمحقه الحق ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۗ﴾ [الإسراء: ٨١]، وقال هنا: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ ليتضح الحق من الباطل والهدى والضلال.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله [كما في مجموع فتاوى (١/١٨٩)]: «فشبهه العلم بالماء المنزل من السماء؛ لأنَّ به حياة القلوب كما أنَّ بالماء حياة الأبدان وشبهه القلوب بالأودية لأنَّها محلُّ العلم كما أنَّ الأودية محلُّ الماء، فقلبٌ يسع علما كثيرا، ووادٍ يسع ماء كثيرا، وقلبٌ يسع علما قليلا، ووادٍ يسع ماء قليلا، وأخبر تعالى أنَّه يعلو على السيل من الزبد بسبب مخالطة الماء وأنَّه يذهب جفاء أي: يرمى به ويخفى والذي ينفع الناس يمكث في الأرض ويستقر، وكذلك القلوب تخالطها الشهوات والشبهات فإذا ترابى فيها الحق ثارت فيها تلك الشهوات والشبهات ثم تذهب جفاء ويستقر فيها الإيمان والقرآن الذي ينفع صاحبه والناس.

وقال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ بَثْثٍ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ فهذا المثل الآخر وهو النَّارِيّ فالأول للحياة والثاني للضياء. ثم القلب

للعلم كالإناء للماء، والوعاء للغسل والوادي للسيل، كما قال تعالى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ الآية.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

[الحديد] ﴿١٧﴾

قول الله: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الحديد]، هذا ليس بمثل صريح ولكن أشار المفسرون عليهم رحمة الله أن فيه إشارة وبعض مثل إلى أن القادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر سبحانه على إحياء القلوب الميتة والقلوب القاسية بعد موتها وذهاب نورها.

قال ابن كثير رحمته الله (٢١ / ٨): «وقوله: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ فيه إشارة إلى أنه تعالى يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحيارى بعد ضلتها، ويفرّج الكروب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجذبة الهامدة بالغيث الهتّان [الوابل] كذلك يهدي القلوب القاسية براهين القرآن والدلائل، ويولج إليها النور بعد ما كانت مقفلة لا يصل إليها، الواصل، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الإضلال، والمضلل لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فعال، وهو الحكم العدل في جميع الفعال، اللطيف الخبير الكبير

المتعال».

قال الطبري في تفسيره (٢٣ / ١٨٩) : «يقول تعالى ذكره ﴿اعْلَمُوا﴾ أيها الناس ﴿أَنَّ اللَّهَ يُمِئُّ الْأَرْضَ﴾ الميتة التي لا تنبت شيئا، ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يعني: بعد دثورها ودروسها، يقول: وكما نحبي هذه الأرض الميتة بعد دروسها، كذلك نهدي الإنسان الضالَّ عن الحقِّ إلى الحق، فنوفِّقه ونسُدِّده للإيمان حتى يصير مؤمنا من بعد كفره، ومهتديا من بعد ضلاله.

وقوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يقول: قد بيَّنا لكم الأدلة والحجج لتعقلوا».

قال الشوكاني [في «فتح القدير» (٧ / ١٥٤)]: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُمِئُّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فهو قادر على أن يبعث الأجسام بعد موتها، ويلين القلوب بعد قسوتها ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ التي من جملتها هذه الآيات ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: كي تعقلوا ما تضمنته من المواعظ، وتعملوا بموجب ذلك».

قال السعدي في تفسيره (١ / ٨٤٠) : ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُمِئُّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فإن الآيات تدل العقول على العلم بالمطالب الإلهية، والذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على أن يحيي الأموات بعد موتهم، فيجازيهم بأعمالهم، والذي أحيا الأرض بعد موتها بماء المطر قادر على أن يحيي القلوب الميتة بما أنزله من الحق على رسوله، وهذه الآية تدل على أنه لا عقل لمن لم يهتد بآيات الله و[لم] ينقد لشرائع الله».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (١٧) ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (١٨) أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِيءِ إِذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (١٩) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَنْبَصَرَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٠) ﴿

[البقرة]

قال ابن كثير رحمته الله (١/١٨٦): «يقال: مثل ومثل ومثيل -أيضا- والجمع أمثال، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].»

وتقدير هذا المثل: أن الله سبحانه، شبههم في اشتراطهم الضلالة بالهدى، وصيرورتهم بعد التبصرة إلى العمى، بمن استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله، وتأنس بها فينا هو كذلك إذ طفئت ناره، وصار في ظلام شديد، لا يبصر ولا يهتدي، وهو مع ذلك أصم لا يسمع، أبكم لا ينطق، أعمى لو كان ضياء لما أبصر؛ فلهذا لا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك، فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضًا عن الهدى، واستحبابهم الغي على الرشد. وفي هذا المثل دلالة على أنهم آمنوا ثم كفروا، كما أخبر عنهم تعالى في غير هذا الموضع، والله أعلم.

وقد حكى هذا الذي قلناه فخر الدين الرازي في تفسيره عن السدي ثم قال:

والتشبيه هاهنا في غاية الصحة؛ لأنهم بإيمانهم اكتسبوا أولا نورا ثم بنفاقهم ثانياً أبطلوا ذلك النور فوقعوا في حيرة عظيمة فإنه لا حيرة أعظم من حيرة الدين.

وزعم ابن جرير أن المضروب لهم المثل هاهنا لم يؤمنوا في وقت من الأوقات، واحتج بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

والصواب: أن هذا إخبار عنهم في حال نفاقهم وكفرهم، وهذا لا ينفي أنه كان حصل لهم إيمان قبل ذلك، ثم سلبوه وطبع على قلوبهم، ولم يستحضر ابن جرير، بِحَوْلِ اللَّهِ، هذه الآية هاهنا وهي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣]؛ فلهذا وجه [ابن جرير] هذا المثل بأنهم استضاؤوا بما أظهروه من كلمة الإيمان، أي في الدنيا، ثم أعقبهم ظلمات يوم القيامة.

قال: وصح ضرب مثل الجماعة بالواحد، كما قال: ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩] أي: كدوران عيني الذي يغشى عليه من الموت، وقال تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَاكُمْ إِلَّا كَفْئِيسٍ وَاحِدَةً﴾ [لقمان: ٢٨] وقال تعالى: ﴿بَشَرٌ مِّثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥]، وقال بعضهم: تقدير الكلام: مثل قصتهم كقصبة الذي استوقد نارا. وقال بعضهم: المستوقد واحد لجماعة معه.

وقال آخرون: الذي هاهنا بمعنى الذين كما قال الشاعر:

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

قلت: وقد التفت في أثناء المثل من الواحد إلى الجمع، في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (١٧) ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (١٨) وهذا أفصح في الكلام، وأبلغ في النظام، وقوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أي: ذهب عنهم ما ينفعهم، وهو النور، وأبقى لهم ما يضرهم، وهو الإحراق والدخان ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ وهو ما هم فيه من الشك والكفر والنفاق، ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ لا يهتدون إلى سبل خير ولا يعرفونها، وهم مع ذلك ﴿صُمُّ﴾ لا يسمعون خيرا ﴿بُكْمٌ﴾ لا يتكلمون بما ينفعهم ﴿عُمَىٰ﴾ في ضلالة وعماية البصيرة، كما قال تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوا لَهَا تَعْمَىٰ الْأَبْصَرُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] فلهذا لا يرجعون إلى ما كانوا عليه من الهداية التي باعوها بالضلالة.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبُرْقٌ يَّجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِي أَيَّامِهِم مِّنَ الصُّوعَةِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (١٩) ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوًا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٠)، وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى لضرب آخر من المنافقين، وهم قوم يظهر لهم الحق تارة، ويشكّون تارة أخرى، فقلوبهم في حال شكهم

وكفرهم وترددهم ﴿كَصَيْبٍ﴾ والصيب: المطر، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وناس من الصحابة، وأبو العالية، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء، والأشهر هو المطر نزل من السماء في حال ظلمات، وهي الشكوك والكفر والنفاق. ﴿وَرَعْدٌ﴾ وهو ما يزعج القلوب من الخوف، فإن من شأن المنافقين الخوف

الشديد والفرع، كما قال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون:

٤] وقال: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾

لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ [التوبة].

والبرق: هو ما يلعب في قلوب هؤلاء الضرب من المنافقين في بعض الأحيان،

من نور الإيمان؛ ولهذا قال: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْدِعَهُمْ فِيءَ آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ

مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ أي: ولا يجدي عنهم حذرهم شيئاً؛ لأن الله محيط [بهم]

بقدرته، وهم تحت مشيئته وإرادته، كما قال: ﴿

﴾ [البروج].

والصواعق: جمع صاعقة، وهي نار تنزل من السماء وقت الرعد الشديد،

وحكى الخليل بن أحمد عن بعضهم صاعقة، وحكى بعضهم صاعقة وصعقة

وصاعقة، ونقل عن الحسن البصري أنه: قرأ ﴿مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ بتقديم

القاف وأنشدوا لأبي النجم:

يحكوك بالمتقولة القواطع شفق البرق عن الصواعق

قال النحاس: وهي لغة بني تميم وبعض بني ربيعة، حكى ذلك.

ثم قال: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ﴾ أي: لشدته وقوته في نفسه، وضعف بصائرهم، وعدم ثباتها للإيمان.

قال ابن القيم رحمه الله [كما في «شرح الأمثال» (ص ٩)]: «قوله تعالى في حق المنافقين: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ وسلم ما حوله ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ﴿١٧﴾ صُمُّ بُيُوتِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ﴾ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْئِمَّةً فِي آذَانِهِمْ﴾ - إلى قوله - ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٠﴾. فضرب للمنافقين بحسب حالهم: مثلين: مثلاً نارياً ومثلاً مائياً لما في الماء والنار من الإضاءة والإشراق والحياة فإن النار مادة النور والماء مادة الحياة.

وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي أنزل من السماء متضمناً لحياة القلوب واستنارتها ولهذا ساء روحاً ونوراً، وجعل قابليه أحياء في النور ومن لم يرفع به رأساً أمواتاً في الظلمات.

وأخبر عن حال المنافقين بالنسبة إلى حظهم من الوحي أنهم بمنزلة من استوقد ناراً للتضيء له ويتنفع بها وهذا لأنهم دخلوا في الإسلام، فاستضاءوا به وانتفعوا به تشبيه الكفار بالمطر المصاحب للظلمة والرعد والبرق وآمنوا به وخالطوا المسلمين ولكن لما لم يكن لصحبتهم مادة من قلوبهم من نور الإسلام طغى عنهم وذهب الله بنورهم.

ولم يقل نارهم فإن النار فيها الإضاءة والإحراق، فذهب الله بما فيها من الإضاءة وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق، وتركهم في ظلمات لا يبصرون، فهذا حال من أبصر ثم عمي وعرف ثم أنكر ودخل في الإسلام ثم فارقه بقلبه لا يرجع إليه ولهذا قال: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (١٨).

ثم ذكر حالهم بالنسبة إلى المثل المائي: فشبهم بأصحاب صيب وهو المطر الذي يصبوب أي ينزل من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق. فلضعف بصائرهم وعقولهم اشتدت عليهم زواجر القرآن ووعيده وتهديده وأوامره ونواهيته وخطابه الذي يشبه الصواعق فحالهم كحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق، فلضعفه وخوفه جعل أصبعيه في أذنيه خشية من صاعقة تصيبه، وقد شاهدنا نحن وغيرنا كثيرا من مخانيث تلاميذ الجهمية والمبتدعة إذا سمعوا شيئا من آيات الصفات وأحاديث الصفات المنافية لبدعتهم رأيتهم عنها معرضين ﴿الرَّجِيمِ﴾ (٢) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴿٥﴾ [المدثر]، ويقول مختثهم: سدوا عنا هذا الباب، واقرأوا شيئا غير هذا. وترى قلوبهم مولية وهم يجمعون لثقل معرفة الرب سبحانه تعالى وأسمائه وصفاته على عقولهم وقلوبهم، وكذلك المشركون على اختلاف شركهم إذا جرد لهم التوحيد وتليت عليهم نصوصه المبطللة لشركهم اشمأزت قلوبهم وثقل عليهم لو وجدوا السبيل إلى سد آذانهم لفعلوا، وكذلك نجد أعداء أصحاب رسول الله ﷺ ثقل ذلك عليهم جدا فأنكرته قلوبهم؛ وهذا كله شبه ظاهر ومثل محقق من إخوانهم من المنافقين في المثل الذي ضربه الله لهم بالماء فإنهم لما تشابهت قلوبهم تشابهت أعمالهم».

وقال السعدي رحمه الله (٤٤ / ١) : «أي: مثلهم المطابق لما كانوا عليه كمثل الذي استوقد نارا، أي: كان في ظلمة عظيمة، وحاجة إلى النار شديدة فاستوقدها من غيره، ولم تكن عنده معدة، بل هي خارجة عنه، فلما أضاءت النار ما حوله، ونظر المحل الذي هو فيه، وما فيه من المخاوف وأمنها، وانتفع بتلك النار، وقرت بها عينه، وظن أنه قادر عليها، فبينما هو كذلك، إذ ذهب الله بنوره، فذهب عنه النور، وذهب معه السرور، وبقي في الظلمة العظيمة والنار المحرقة، فذهب ما فيها من الإشراق، وبقي ما فيها من الإحراق، فبقي في ظلمات متعددة: ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة المطر، والظلمة الحاصلة بعد النور، فكيف يكون حال هذا الموصوف؟

فكذلك هؤلاء المنافقون، استوقدوا نار الإيمان من المؤمنين، ولم تكن صفة لهم، فانتفعوا بها وحقنت بذلك دماؤهم، وسلمت أموالهم، وحصل لهم نوع من الأمن في الدنيا، فبينما هم على ذلك إذ هجم عليهم الموت، فسلبهم الانتفاع بذلك النور، وحصل لهم كل هم وغم وعذاب، وحصل لهم ظلمة القبر، وظلمة الكفر، وظلمة النفاق، وظلم المعاصي على اختلاف أنواعها، وبعد ذلك ظلمة النار [وبئس القرار].

فلهذا قال تعالى [عنهم]: ﴿صُمُّوا﴾ أي: عن سماع الخير، ﴿بِكُمْ﴾ [أي]: عن النطق به، ﴿عُمِّيُّوا﴾ عن رؤية الحق، ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ لأنهم تركوا الحق بعد أن عرفوه، فلا يرجعون إليه، بخلاف من ترك الحق عن جهل وضلال، فإنه لا يعقل، وهو أقرب رجوعا منهم.

ثم قال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ يعني: أو مثلهم كصيب، أي: كصاحب صيب من السماء، وهو المطر الذي يصب، أي: ينزل بكثرة، ﴿فِيهِ ظُلُمٌ﴾ ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمات المطر، ﴿وَرَعْدٌ﴾ وهو الصوت الذي يسمع من السحاب، ﴿وَبَرْقٌ﴾ وهو الضوء [اللامع] المشاهد مع السحاب.

﴿كُلَّمَا أَصَاءَ لَهُمْ﴾ البرق في تلك الظلمات ﴿مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ أي: وقفوا.

فهكذا حال المنافقين، إذا سمعوا القرآن وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده، جعلوا أصابعهم في آذانهم، وأعرضوا عن أمره ونهيه ووعده ووعيده، فيروعهم وعيده وترعجهم وعوده، فهم يعرضون عنها غاية ما يمكنهم، ويكروهونها كراهة صاحب الصيب الذي يسمع الرعد، ويجعل أصابعه في أذنيه خشية الموت، فهذا تمكن له السلامة. وأما المنافقون فأنى لهم السلامة، وهو تعالى محيط بهم، قدرة وعلمًا فلا يفوتونه ولا يعجزونه، بل يحفظ عليهم أعمالهم، ويجازيهم عليها أتم الجزاء.

ولما كانوا مبتلين بالصمم، والبكم، والعمى المعنوي، ومسدودة عليهم طرق الإيمان، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ أي: الحسية، ففيه تحذير لهم وتخويف بالعقوبة الدنيوية، ليحذروا، فيرتدعوا عن بعض شرهم ونفاقهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فلا يعجزه شيء، ومن قدرته أنه إذا شاء شيئًا فعله من غير ممانع ولا معارض.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ

يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ

عَلَيْهِمْ هُمْ الْعَدُوُّ فَأَحْذَرَهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَلَيْسَ لِيُؤْفِكُونَ﴾ [المنافقون]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (٣٩٥ / ٢٣): «يقول جل ذكره لنييه محمد صلى الله عليه وسلم:

وإذا رأيت هؤلاء المنافقين يا محمد تعجبك أجسامهم لاستواء خلقها وحسن صورها.

﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ يقول جل ثناؤه: وإن يتكلموا تسمع

كلامهم يشبه منطقتهم منطلق الناس.

﴿كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ﴾ يقول: كأن هؤلاء المنافقين خشب مسندة لا

خير عندهم ولا فقه لهم ولا علم، وإنما هم صور بلا أحلام، وأشباح بلا عقول.

وقال ابن كثير رحمته الله (١٢٦ / ٨): «أي: كانوا أشكالا حسنة وذوي فصاحة

والسنة، إذا سمعهم السامع يصغي إلى قولهم لبلاغتهم، وهم مع ذلك في غاية

الضعف والخور والهلع والجزع والجبن؛ ولهذا قال: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ

عَلَيْهِمْ﴾ أي: كلما وقع أمر أو كائنة أو خوف، يعتقدون، لجبنهم، أنه نازل بهم،

كما قال تعالى: ﴿أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي

يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ

يُؤْمِنُوا فَاحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿﴾ [الأحزاب: ١٩] فهم جهامات
 وصور بلا معاني. ولهذا قال: ﴿﴾ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿﴾ أي: كيف
 يصرفون عن الهدى إلى الضلال».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَوْلُوهُمْ مَكْنُونٌ ﴿﴾ (٢٤)
 [الطور]

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ (٧ / ٤٣٥): «وقوله: ﴿﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَوْلُوهُمْ مَكْنُونٌ ﴿﴾: إخبار عن خدمهم وحشمهم في الجنة كأنهم اللؤلؤ الرطب، المكنون في
 حسنهم وبهائهم ونظافتهم وحسن ملابسهم، كما قال ﴿﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿﴾ (١٧)
 بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿﴾ (١٨) [الواقعة]».

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ [كما في «شرح الأمثال» (ص ٣١)]: «قوله تعالى: ﴿﴾ يَطُوفُ
 عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿﴾ (١٧) أي قد خلقوا للبقاء لذلك لا يتغيرون ولا يكبرون وهم
 على سن واحد أبدا، وقيل المقرطون في آذانهم والمسورون في أيديهم وأصحاب
 هذا القول فسروا اللفظ ببعض لوازمه وذلك إشارة إلى التخليد على ذلك السن
 فلا ينافي القولين».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَصْرَاتُ الْطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا

جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّ الْيَاقُوتَ وَالْمَرْجَانَ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمَا

تَكْذِبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾ ﴿

وقال ابن جرير الطبري رحمته الله (٦٥ / ٢٣): «يقول تعالى ذكره: كأن هؤلاء

القاصرات الطرف، اللواتي هنّ في هاتين الجنّتين في صفائهنّ الياقوت، الذي يرى السلك الذي فيه من ورائه، فكذلك يرى من وراء أجسامهنّ، وفي حسنهنّ الياقوت والمرجان».

وقال ابن كثير رحمته الله (٥٠٤ / ٧): «ثم قال ينعتهن للخطاب: ﴿كَأَنَّ الْيَاقُوتَ

وَالْمَرْجَانَ ﴿٥٨﴾، قال مجاهد، والحسن، [والسدي]، وابن زيد، وغيرهم: في صفاء الياقوت وبياض المرجان، فجعلوا المرجان هاهنا اللؤلؤ».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

أَكْثُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ [الرعد]

قال ابن كثير رحمته الله (٤٦٤ / ٤): «ذكر تعالى عقاب الكفار وثواب الأبرار:

فقال بعد، إخباره عن حال المشركين وما هم عليه من الكفر والشرك: ﴿لَهُمْ

عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٣٥﴾ أي: بأيدي المؤمنين قتلا وأسرا، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَلِعَذَابٌ الْآخِرَةِ ﴿٣٦﴾ أي: المدّخر [لهم] مع هذا الخزي في الدنيا، ﴿أَشَقُّ ﴿٣٧﴾ أي: من

هذا بكثير، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتلاعنين: «إن عذاب الدنيا أهون من عذاب

الآخرة» وهو كما قال، صلوات الله وسلامه عليه، فإن عذاب الدنيا له انقضاء، وذلك دائم أبدا في نار هي بالنسبة إلى هذه سبعون ضعفا، ووثاق لا يتصور كثافته

وشدته، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابِهِ أَحَدًا وَلَا يُوثِقُ وِيقَاهُ أَحَدًا﴾ [الفجر] وقال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ (١١) إِذْ أَرَأَيْتُمْ مَنْ

مَكَانٍ بَعِيدٍ سَعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ [الفرقان].

ولهذا قرن هذا بهذا؛ فقال: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ أي: صفتها ونعتها، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: سارحة في أرجائها وجوانبها، وحيث شاء أهلها، يفجرونها وتفجيرًا، أي: يصرفونها كيف شاءوا وأين شاءوا، كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (١٥) [محمد].

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ

وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأُثَارِبِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا

يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ [التوبة]

قال ابن جرير الطبري رحمه الله (١٤ / ٤٧٤): «قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره

لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا تقم، يا محمد، في المسجد الذي بناه هؤلاء المنافقون، ضارًا

وتفريقاً بين المؤمنين، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله. ثم أقسم جل ثناؤه فقال: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ﴾، أنت ﴿فِيهِ﴾.

وقال ابن كثير رحمته الله (٢١٧/٤): «يقول تعالى: لا يستوي من أسس بنيانه على تقوى الله ورضوان، ومن بنى مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل، فإنما بنى هؤلاء بنيانهم ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ﴾ أي: طرف حفيرة مثاله ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا يصلح عمل المفسدين.

قال جابر بن عبد الله: رأيت المسجد الذي بنى ضراراً يخرج منه الدخان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال خلف بن ياسين الكوفي: رأيت مسجد المنافقين الذي ذكره الله تعالى في القرآن، وفيه جحر يخرج منه الدخان، وهو اليوم مزبلة. رواه ابن جرير رحمته الله.

وقوله: ﴿لَا يَزَالُ بُنِيتُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: شكا ونفاقا بسبب إقدامهم على هذا الصنيع الشنيع، أورثهم نفاقا في قلوبهم، كما أشرب عاببدو العجل حبه.

وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: بموتهم. قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وزيد بن أسلم، والسدي، وحبيب بن أبي ثابت، والضحاك، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغير واحد من علماء السلف.

﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ أي: بأعمال خلقه، ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في مجازاتهم عنها، من خير وشر».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا

يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ [الأعراف]

وقال ابن جرير الطبري رحمته الله (٤٩٥ / ١٢) : « قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: والبلد الطيبة تربته، العذبة مشاربه، يخرج نباته إذا أنزل الله الغيث وأرسل عليه الحيا، ياذنه، طيباً ثمره في حينه ووقته. والذي خبث فردوت تربته، وملحت مشاربه، ﴿ لَا يَخْرِجُ ﴾ نباته ﴿ إِلَّا نَكِدًا ﴾ يقول: إلا عسراً في شدة، كما قال الشاعر:

لا تنجز الوعد إن وعدت وإن أعطيت أعطيت تافهاً نكداً».

وقال ابن كثير رحمته الله (٤٣٠ / ٣) : «وقوله: ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ أي: والأرض الطيبة يخرج نباتها سريعاً حسناً، كما قال: ﴿ فَتَقْبَلُهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ [آل عمران: ٣٧].

﴿ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾ قال مجاهد وغيره: كالسباخ ونحوها. **إسناده**

صحيح.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في الآية: هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر.

عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل ما بعثني الله به من

الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكانت منها نقية قبلت الماء، فأنبت الكلاً والعشب الكثير. وكانت منها أجاب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا. وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا. ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به». رواه البخاري ومسلم والنسائي من طرق.

وقال السعدي رحمته الله (١/ ٢٩٢): «ثم ذكر تفاوت الأراضي، التي ينزل عليها المطر، فقال: ﴿وَأَلْبَدُ الطَّيِّبُ﴾ أي: طيب التربة والمادة، إذا نزل عليه مطر ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ﴾ الذي هو مستعد له ﴿يَأْذِنُ رَبِّهِ﴾ أي: بإرادة الله ومشئته، فليست الأسباب مستقلة بوجود الأشياء، حتى يأذن الله بذلك.

﴿وَالَّذِي خَبَتْ﴾ من الأراضي ﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ أي: إلا نباتًا خاسًا لا نفع فيه ولا بركة.

﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ أي: ننوعها ونبينها ونضرب فيها الأمثال ونسوقها لقوم يشكرون الله بالاعتراف بنعمه، والإقرار بها، وصرفها في مرضاة الله، فهم الذين ينتفعون بما فصل الله في كتابه من الأحكام والمطالب الإلهية، لأنهم يرونها من أكبر النعم الواصلة إليهم من ربهم، فيتلقونها مفتقرين إليها فرحين بها، فيتدبرونها ويتأملونها، فيبين لهم من معانيها بحسب استعدادهم، وهذا مثال للقلوب حين ينزل عليها الوحي الذي هو مادة الحياة، كما أن الغيث

مادة الحياة، فإن القلوب الطيبة حين يجيئها الوحي، تقبله وتعلمه وتنتب بحسب طيب أصلها، وحسن عنصرها.

وأما القلوب الخبيثة التي لا خير فيها، فإذا جاءها الوحي لم يجد محلاً قابلاً بل يجدها غافلة معرضة، أو معارضة، فيكون كالمطر الذي يمر على السبخ والرمال والصخور، فلا يؤثر فيها شيئاً، وهذا كقوله تعالى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا... ﴾ [الرعد: ١٧] الآيات).

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ

رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقًا أَلسُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ

الشَّجَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ [الأعراف]

وقال ابن جرير الطبري رحمته الله (٤٩٣/١٢): «فإنه يقول تعالى ذكره: كما

نحيي هذا البلد الميت بما تنزل به من الماء الذي ننزله من السحاب، فنخرج به من الثمرات بعد موته وجدوبته وقحوط أهله، كذلك نخرج الموتى من قبورهم

أحياءً بعد فنائهم ودروس آثارهم ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾، يقول تعالى ذكره

للمشركين به من عبدة الأصنام، المكذبين بالبعث بعد المات، المنكرين للثواب

والعقاب: ضربت لكم، أيها القوم، هذا المثل الذي ذكرت لكم: من إحياء البلد

الميت بقطر المطر الذي يأتي به السحاب الذي تنشره الرياح التي وصفت صفتها،

لتعتبروا فتذكروا وتعلموا أن من كان ذلك من قدرته، فيسير في قدرته إحياء

الموتى بعد فنائها، وإعادتها خلقاً سوياً بعد دروسها....

وقال أبو هريرة: إن الناس إذا ماتوا في النفخة الأولى، أمطر عليهم من ماء تحت العرش يدعى «ماء الحيوان» أربعين سنة، فينبتون كما ينبت الزرع من الماء. حتى إذا استكملت أجسادهم، نفخ فيهم الروح، ثم تلقى عليهم نومة، فينامون في قبورهم. فإذا نفخ في الصور الثانية عاشوا، وهم يجدون طعم النوم في رؤوسهم وأعينهم، كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه، فعند ذلك يقولون: ﴿يَوَلِّينَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾، فناداهم المنادي: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾، قال: إذا أراد الله أن يخرج الموتى، أمطر السماء حتى تتشقق عنهم الأرض، ثم يرسل الأرواح، فتعود كل روح إلى جسدها، فكذلك يحيي الله الموتى بالمطر كإحيائه الأرض. **إسناده صحيح.**

وقال الشوكاني رحمته الله في «فتح القدير» (٣/٤٨): «قوله: ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ أي مثل ذلك الإخراج، وهو إخراج الثمرات نخرج الموتى من القبور يوم حشرهم ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي تتذكرون، فتعلمون بعظيم قدرة الله وبديع صنعته، وأنه قادر على بعثكم كما قدر على إخراج الثمرات التي تشاهدونها».

فصل: أمثال المنفقين

وقول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنْأً وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [البقرة]

يضرب الله مثلاً للذين ينفقون أموالهم بالحبّة من السنبلة.

قيل المراد بالسنبال هنا سنابل الدخن فهو الذي يكون السنبلة منه هذا العدد.

قال القرطبي: «إن سنبل الدخن يجيء في السنبلة منه أكثر من هذا العدد بضعفين وأكثر على ما شاهدنا» اهـ.

قال القرطبي: «معناه إن وجد ذلك وإلا فعلى أن يفرضه».

﴿وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾: في الأضعاف أو الزيادة عليه وهذا المثل لمن أنفق أن الله يخلف للمتصدق خيراً من ماله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ]، ويضاعف في ماله الذي بقى وبيارك فيه.

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (٥/٥١٣): «قال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني بذلك: مثل الذين ينفقون أموالهم على أنفسهم في جهاد أعداء الله بأنفسهم وأموالهم ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ من حبات الحنطة أو الشعير، أو غير

ذلك من نبات الأرض التي تسنبل ريعها سنبله بذرها زارع. ﴿أُنْبَتَتْ﴾،
يعني: فأخرجت ﴿سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبْلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾، يقول: فكذلك المنفق ماله
على نفسه في سبيل الله، له أجره سبعمائة ضعف على الواحد من نفقته.

قال ابن كثير رحمه الله (١ / ٦٩١): «هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب
لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنه تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة
ضعف، فقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال سعيد بن جبیر: في
طاعة الله. وقال مكحول: يعني به: الإنفاق في الجهاد، من رباط الخيل وإعداد
السلاح وغير ذلك، وقال شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس: الجهاد
والحج، يضعف الدرهم فيهما إلى سبعمائة ضعف.

ولهذا قال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبْلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾.

وهذا المثل أبلغ في النفوس، من ذكر عدد السبعمائة، فإن هذا فيه إشارة إلى أن
الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل، لأصحابها، كما ينمي الزرع لمن بذره في
الأرض الطيبة، وقد وردت السنة بتضعيف الحسنه إلى سبعمائة ضعف.

قال الشوكاني رحمه الله [في «فتح القدير» (١ / ٣٨٥)]: «قوله: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ لا

يصح جعل هذا خبراً عن قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ لاختلافهما، فلا بد من
تقدير محذوف إما في الأول أي: مثل نفقة الذين ينفقون، أو في الثاني: أي: كمثال
زارع حبة، والمراد بالسبع السنابل: هي التي تخرج في ساق واحد يتشعب منه سبع
شعب في كل شعبة سنبله، والحبة اسم لكل ما يزرعه ابن آدم، ومنه قول

المتلمس:

آليت حبّ العراق الدّهر أطعمه وحبّ يأكله في القرية السّوس

قيل: المراد بالسنابل هنا سنابل الدخن، فهو الذي يكون في السنبله منه هذا العدد.

وقال القرطبي: إن سنبل الدّخن يجيء في السنبله منه أكثر من هذا العدد بضعفين، وأكثر على ما شاهدنا. قال ابن عطية: وقد يوجد في سنبل القمح ما فيه مائة حبة، وأما في سائر الحبوب، فأكثر، ولكن المثال، وقع بهذا القدر. وقال الطبري رحمته الله: إن قوله: ﴿فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾ معناه إن وجد ذلك، وإلا فعلى أن تفرضه. قوله: ﴿وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ يحتمل أن يكون المراد: يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء، أو يضاعف هذا العدد، فيزيد عليه أضعافه لمن يشاء، وهذا هو الراجح لما سيأتي. وقد ورد القرآن بأن الحسنة بعشر أمثالها، واقتضت هذه الآية بأن نفقة الجهاد حسنتها بسبعمئة ضعف، فيبني العام على الخاص، وهذا بناء على أن سبيل الله هو الجهاد فقط، وأما إذا كان المراد به: وجوه الخير، فيخص هذا التضعيف إلى سبعمئة بثواب النفقات، وتكون العشرة الأمثال فيما عدا ذلك».

وقال ابن القيم رحمته الله [كما في «شرح الأمثال» (ص ٥٠)]: «قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٦) شبه سبحانه نفقة المنفق في سبيله

سواء كان المراد به الجهاد أو جميع سبل الخير من كل بر بمن بذر بذرا فأثبتت كل حبة سبع سنابل، اشتملت كل سنبل على مائة حبة، والله يضاعف بحسب حال المنفق وإيمانه وإخلاصه وإحسانه ونفع نفقته وقدرها ووقوعها موقعها، فإن ثواب الإنفاق يتفاوت بحسب ما يقوم بالقلب من الإيمان والإخلاص، والتثبت عند النفقة، وهو إخراج المال بقلب ثابت قد انشرح صدره بإخراجه وسمحت به نفسه وخرج من قلبه قبل خروجه من يده، فهو ثابت القلب عند إخراجه غير جزع ولا هلع ولا متبعه نفسه ترجف يده وفؤاده، ويتفاوت بحسب نفع الإنفاق ومصارفه بمواقعه، وبحسب طيب المنفق وذكائه.

وتحت هذا المثل من الفقه: أنه سبحانه شبه الإنفاق بالبذر، فالمنفق ماله الطيب لله لا لغيره باذر ماله في أرض زكية فمغلة بحسب بذره وطيب أرضه وتعاهد البذر بالسقي ونفي الدغل والنبات الغريب عنه.

فإذا اجتمعت هذه الأمور ولم تحرق الزرع نار ولا لحقته جائحة جاء أمثال الجبال، وكان مثله ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ وهي المكان فيه نصب الشمس والرياح فتربى الأشجار هناك أتم تربية فنزل عليها من السماء مطر عظيم القطر متتابع فرواها ونماها، فأتت أكلها ضعفي ما تؤتيه غيرها بسبب ذلك الوابل.

﴿فَإِنْ لَمْ يُمْسِكْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾: مطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها تزكو على الطل وتنمي عليه، مع أن في ذكر نوعي الوابل والطل إشارة إلى نوعي الإنفاق الكثير والقليل، فمن الناس من يكون إنفاقه وابلًا ومنهم من يكون إنفاقه طلاً،

والله لا يضيع مثقال ذرة.

فإن عرض لهذا العامل ما يفرق أعماله ويبطل بها حسناته كان بمنزلة رجل ﴿لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ﴾. فإذا كان يوم استيفاء الأعمال وإحراز الأجور وجد العامل عمله قد أصابه ما أصاب صاحب هذه الجنة، فحسرتة حينئذ أشد من حسرة هذا على جنته، فهذا مثل ضربه الله سبحانه في الحسرة لسلب النعمة عند شدة الحاجة إليها مع عظم قدرها ومنفعتها، والذي ذهبت عنه قد أصابه الكبر والضعف فهو أحوج ما كان إلى نعمته، ومع هذا ﴿وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعْفَاءُ ﴾ لا يقدر على نفعه والقيام بمصالحه، بل هم في عياله فحاجته إلى نعمته حينئذ أشد ما كانت لضعفه وضعف ذريته. فكيف يكون حال هذا إذا كان له بستان عظيم فيه من جميع الفواكه والثمار، وسلطان ثمره أجل الفواكه وأنفعها وهو ثمر النخيل والأعناب، فنخله يقوم بكفايته وكفاية ذريته فأصبح يوما وقد وجده محترقا كله كالصريم؟ فأى حسرة أعظم من حسرتة؟

قال ابن عباس: هذا مثل الذي يختم له بالفساد في آخر عمره، وقال مجاهد: هذا مثل المفرط في طاعة الله حتى يموت، وقال السري: هذا مثل للمرائي في نفقته، الذي ينفق لغير الله ينقطع عنه نفعها أحوج ما يكون إليها. وسأل عمر بن الخطاب الصحابة رضي الله عنهم يوما عن هذه الآية فقالوا: الله أعلم. فغضب عمر وقال: قولوا نعمم أو لا نعمم. فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين قال: قل يا ابن أخي ولا تحصر نفسك، قال: ضرب مثل لعمل، قال: لأي عمل؟ قال:

لرجل غنى يعمل بالحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله كلها.

وقال الحسن: هذا مثل قل - والله أعلم - من يعقله من الناس شيخ ضعف جسمه وكثر صبيانه أفقر ما كان إلى جنته، وإن أحدكم والله أفقر ما يكون إلى عمله إذا انقطعت عنه الدنيا.

فصل: فإن عرض لهذه الأعمال من الصدقات ما يبطلها من المن والأذى والرياء، فالرياء يمنع انعقادها سببا للثواب، والمن والأذى يبطل الثواب الذي كان سببا له، فمثل صاحبها وبطلان عمله ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ وهو الحجر الأملس، ﴿عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابُهُ، وَابِلٌ﴾ وهو المطر الشديد.

﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ لا شيء عليه، وتأمل أجزاء هذا المثل البليغ وانطباقها على أجزاء الممثل به تعرف عظمة القرآن وجلالته، فإن الحجر في مقابلة قلب هذا المرئي والمأن والمؤذي فقلبه في قسوته عن الإيثار والإخلاص والإحسان بمنزلة الحجر، والعمل الذي لغير الله بمنزلة التراب الذي على ذلك الحجر فقوة ما تحته وصلابته تمنعه من الثبات والنبات عند نزول الوابل، فليس له مادة متصلة بالذي يقبل الماء وينبت الكلاء، وكذلك قلب المرئي ليس له ثبات عند وابل الأمر والنهي والقضاء والقدر، فإذا نزل عليه وابل الوحي انكشف عنه ذلك التراب اليسير الذي كان عليه فبرز ما تحته حجرا صلدا لا نبات فيه، وهذا مثل ضربه الله سبحانه لعمل المرئي ونفقته لا يقدر يوم القيامة على ثواب شيء منه أحوج ما كان

إليه وبالله التوفيق».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوهَا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٦٤﴾ [البقرة]

قال ابن جرير الطبري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٥ / ٥٢١): «قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، صدقوا الله ورسوله ﴿لَا بُطْلُوهَا صَدَقَاتِكُمْ﴾، يقول: لا تبطلوا أجور صدقاتكم بالمن والأذى، كما أبطل كفر الذي ينفق ماله ﴿رِثَاءَ النَّاسِ﴾، وهو مراعاة إياهم بعمله، وذلك أن ينفق ماله فيما يرى الناس في الظاهر أنه يريد الله تعالى ذكره فيحمدونه عليه، وهو غير مرید به الله ولا طالب منه الثواب، وإنما ينفقه كذلك ظاهراً.

وقال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: فمثل هذا الذي ينفق ماله رثاء الناس، ولا يؤمن بالله واليوم الآخر و«الهاء» في قوله: ﴿فَمَثَلُهُ﴾ عائدة على «الذي» ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾، و«الصفوان» واحدٌ وجمعٌ، فمن جعله جمعاً فالواحدة «صفوانة»، بمنزلة «تمر وتمر» و«نخلة ونخل». ومن جعله واحداً، جمعه صفوان، وصفيّ.

وقوله: ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾، يعني: على الصفوان ترابٌ ﴿فَأَصَابَهُ﴾ يعني: أصاب الصفوان ﴿وَابِلٌ﴾، وهو المطر الشديد العظيم.

وقوله: ﴿فَتَرَكَهُ صَدْلًا﴾ يقول: فترك الواابل الصفوان صلداً.

و«الصلد» من الحجارة: الصلب الذي لا شيء عليه من نبات ولا غيره، وهو من الأرضين ما لا ينبت فيه شيء، وكذلك من الرؤوس.

وقال ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (١/ ٦٩٤): «ثم قال تعالى: ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءً

النَّاسِ﴾ أي: لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى، كما تبطل صدقة من رأى بها الناس، فأظهر لهم أنه يريد وجه الله وإنما قصده مدح الناس له أو شهرته بالصفات الجميلة، ليشكر بين الناس، أو يقال: إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية، مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

ثم ضرب تعالى مثل ذلك المرائي بإنفاقه - قال الضحاك: والذي يتبع نفقته منا أو أذى - فقال: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ وهو جمع صفوانة، ومنهم من يقول: الصفوان يستعمل مفرداً أيضاً، وهو الصفا، وهو الصخر الأملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ﴾ وهو المطر الشديد ﴿فَتَرَكَهُ صَدْلًا﴾ أي: فترك الواابل ذلك الصفوان صلداً، أي: أملس يابساً، أي: لا شيء عليه من ذلك التراب، بل قد ذهب كله، أي: وكذلك أعمال المرئين تذهب وتضمحل عند الله وإن ظهر لهم أعمال فيما يرى الناس كالتراب؛ ولهذا قال: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٦٤﴾.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ أُتْبِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أَكْطَلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة]

قال ابن كثير رحمته الله (١/٦٩٥): «وهذا مثل المؤمنين المنفقين ﴿أَمْوَالَهُمْ أُتْبِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ عنهم في ذلك ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: وهم متحققون مشبوتون أن الله سيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء، ونظير هذا في المعنى، قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ في الحديث المتفق على صحته: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً...» أي: يؤمن أن الله شرعه، ويحتسب عند الله ثوابه.

قال الشعبي: ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: تصديقا ويقينا. وكذا قال قتادة، وأبو صالح، وابن زيد. واختاره ابن جرير. وقال مجاهد والحسن: أي: يثبتون أين يضعون صدقاتهم.

وقوله: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ أي: كمثل بستان بربوة. وهو عند الجمهور: المكان المرتفع المستوي من الأرض. وزاد ابن عباس والضحاك: وتجري فيه الأنهار.

قال ابن جرير: وفي الربوة ثلاث لغات هن ثلاث قراءات: بضم الراء، وبها قرأ عامة أهل المدينة والحجاز والعراق. وفتحها، وهي قراءة بعض أهل الشام والكوفة، ويقال: إنها لغة تميم. وكسر الراء، ويذكر أنها قراءة ابن عباس.

وقوله: ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ وهو المطر الشديد، كما تقدم، ﴿فَكَانَتْ أَكْطَلَهَا﴾

أي: ثمرتها ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ أي: بالنسبة إلى غيرها من الجنان. ﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ قال الضحاك: هو الرّذاذ، وهو اللين من المطر. أي: هذه الجنة بهذه الربوة لا تحمل أبداً؛ لأنها إن لم يصبها وابل فطل، وأيا ما كان فهو كفايتها، وكذلك عمل المؤمن لا يبور أبداً، بل يتقبله الله ويكثره وينميه، كل عامل بحسبه؛ ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: لا يخفى عليه من أعمال عباده شيء.

وقال ابن جرير الطبري رحمته الله (٥/ ٥٣٠): «يعني بذلك جل ثناؤه: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ فيصدّقون بها، ويحملون عليها في سبيل الله، ويقوون بها أهل الحاجة من الغزاة والمجاهدين في سبيل الله، وفي غير ذلك من طاعات الله، طلب مرضاته».

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (٥/ ٥٣١): «﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني بذلك: وتثبيتاً لهم على إنفاق ذلك في طاعة الله وتحقيقاً، من قول القائل: «تبت فلاناً في هذا الأمر» - إذ صححت عزمه، وحققت، وقويت فيه رأيه - «أثبتته تثبيتاً»، كما قال ابن رواحة:

فُتِّبْتُ اللهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنِ تثبیت موسیٰ ونصراً كالذیٰ نصرُوا

وإنما عنى الله جل وعز بذلك: أن أنفسهم كانت موقنة بمصداقة بوعد الله إياها فيما أنفقت في طاعته بغير من ولا أذى، فثبتتهم في إنفاق أموالهم ابتغاء مرضاة الله، وصححت عزمهم وآراءهم، يقيناً منها بذلك، وتصديقاً بوعد الله إياها ما

وعدها. ولذلك قال من قال من أهل التأويل في قوله: ﴿وَتَثْبِيئًا﴾، وتصديقاً ومن قال منهم: ويقىناً لأن تثببت أنفس المنفقين أموالهم ابتغاء مرضاة الله إياهم، إنما كان عن يقين منها وتصديق بوعد الله.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿أَيُّدُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (٥ / ٥٤١): «ومعنى قوله: ﴿أَيُّدُ أَحَدِكُمْ﴾، يجب أحدكم، ﴿أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ يعني بستاناً. ﴿مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، يعني: من تحت الجنة. ﴿لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾، و«الهاء» في قوله: ﴿لَهُ﴾ عائدة على «أحد»، و«الهاء» و«الألف» في: ﴿فِيهَا﴾ على الجنة، ﴿وَأَصَابَهُ﴾، يعني: وأصاب أحدكم ﴿الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعْفَاءُ﴾.

وإنما جعل جل ثناؤه البستان من النخيل والأعناب الذي قال جل ثناؤه لعباده المؤمنين: ﴿أَيُّدُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ﴾ مثلاً لنفقة المنافق التي ينفقها رياء الناس، لا ابتغاء مرضاة الله، فالناس - بما يظهر لهم من صدقته، وإعطائه لما يعطى وعمله الظاهر - يثنون عليه ويحمدونه بعمله ذلك أيام حياته. في حسنه كحسن البستان وهي الجنة التي ضربها الله عَزَّوَجَلَّ لعمله مثلاً. من نخيل وأعناب، له فيها من كل الثمرات، لأن عمله ذلك الذي يعمل في الظاهر في الدنيا، له فيه من كل

خير من عاجل الدنيا، يدفع به عن نفسه ودمه وماله وذريته، ويكتسب به المحمدة وحسن الثناء عند الناس، ويأخذ به سهمه من المغنم مع أشياء كثيرة يكثر إحصاؤها، فله في ذلك من كل خير في الدنيا، كما وصف جل ثناؤه الجنة التي وصف مثلاً لعمله، بأن فيها من كل الثمرات».

وقال ابن جرير رحمته الله (٥٤٣/٥): «ثم قال جل ثناؤه: ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾، يعني أن صاحب الجنة أصابه الكبر ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾ صغاراً أطفال. ﴿فَأَصَابَهَا﴾ يعني: فأصاب الجنة ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾، يعني بذلك أن جنته تلك أحرقتها الريح التي فيها النار، في حال حاجته إليها، وضرورته إلى ثمرتها بكبره، وضعفه عن عمارتها، وفي حال صغر ولده وعجزه عن إحيائها والقيام عليها. فبقي لا شيء له، أحوج ما كان إلى جنته وثمارها، بالآفة التي أصابتها من الإعصار الذي فيه النار.

يقول: فكذلك المنفق ماله رياء الناس، أطفأ الله نوره، وأذهب بهاء عمله، وأحبط أجره حتى لقيه، وعاد إليه أحوج ما كان إلى عمله، حين لا مستعجب له، ولا إقالة من ذنوبه ولا توبة، واطمحل عمله كما احترقت الجنة التي وصف جل ثناؤه صفتها عند كبر صاحبها وطفولة ذريته أحوج ما كان إليها فبطلت منافعتها عنه.

وهذا المثل الذي ضربه الله للمنفقين أموالهم رياء الناس في هذه الآية، نظير المثل الآخر الذي ضربه لهم بقوله: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ

فَتَرَكَهُ صَدْلًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ﴿١١٧﴾ اهـ.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن أَنفُسُهُمْ

يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ [آل عمران]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (١٣٤ / ٧): «قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: شبه ما ينفق الذين كفروا، أي: شبه ما يتصدق به الكافر من ماله، فيعطيه من يعطيه على وجه القرابة إلى ربه وهو لوحدانية الله جاحد، ولمحمد صلى الله عليه وسلم مكذب، في أن ذلك غير نافعه مع كفره، وأنه مضمحلّ عند حاجته إليه، ذاهبٌ بعد الذي كان يرجو من عائدة نفعه عليه كشبهه ريح فيها برد شديد، أصابت هذه الريح التي فيها البرد الشديد ﴿حَرْثَ قَوْمٍ﴾، يعني: زرع قوم قد أملوا إدراكه، ورجوا ريعه وعائدة نفعه ﴿ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾، يعني: أصحاب الزرع، عصوا الله، وتعدّوا حدوده ﴿فَأَهْلَكَتُهُ﴾، يعني: فأهلكت الريح التي فيها الصرّ زرعهم ذلك، بعد الذي كانوا عليه من الأمل ورجاء عائدة نفعه عليهم».

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (١٣٥ / ٧): «يقول تعالى ذكره: فكذلك فعل الله بنفقة الكافر وصدقته في حياته، حين يلقاه، يبطل ثوابها ويخيب رجاؤه منها. وخرج المثل للنفقة، والمراد بـ«المثل» صنيع الله بالنفقة، فيبين ذلك قوله: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾، فهو كما قد بينا في مثله قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] وما أشبه ذلك.

قال أبو جعفر: فتأويل الكلام: مثل إبطال الله أجر ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا، ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾. وإنما جاز ترك ذكر إبطال الله أجر ذلك، لدلالة آخر الكلام عليه، وهو قوله: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾.

قال ابن كثير رحمته الله (١٠٦/٢): ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ أي: برد شديد، قاله ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير وقتادة والحسن، والضحاك، والربيع بن أنس، وغيرهم. وقال عطاء: برد وجليد. وعن ابن عباس أيضًا ومجاهد ﴿فِيهَا صِرٌّ﴾ أي: نار. وهو يرجع إلى الأول، فإن البرد الشديد - سيما الجليد - يحرق الزروع والثمار، كما يحرق الشيء بالنار ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكْتَهُ﴾ أي: أحرقتة، يعني بذلك السفعة إذا نزلت على حرث قد آن جداده أو حصاده فدمرتة وأعدمت ما فيه من ثمر أو زرع، فذهبت به وأفسدته، فعدمه صاحبه أحوج ما كان إليه. فكذا الكفار يمحق الله ثواب أعمالهم في هذه الدنيا وثمرتها كما أذهب ثمره هذا الحرث بذنوب صاحبه. وكذلك هؤلاء بنوها على غير أصل وعلى غير أساس ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

قال ابن القيم رحمته الله كما [في «شرح الأمثال» (ص ٥٣)]: [في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾] ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ

قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكْتَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾

هذا مثل ضرب به الله تعالى لمن أنفق ماله في غير طاعته ومرضاته، فشبّه سبحانه ما ينفقه هؤلاء من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر لا يبتغون به وجه الله وما ينفقونه ليصدوا به عن سبيل الله واتباع رسله عليهم الصلاة والسلام بالزرع الذي زرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره، فأصابته ريح شديدة البرد جدا يحرق بردها ما يمر عليه من الزرع والثمار، فأهلكت ذلك الزرع وأبيسته.

واختلف في الصر فقيل: البرد الشديد، وقيل: النار؛ قاله ابن عباس. وقال الأنباري: وإنما وصفت النار أنها صر لتصريتها عند الالتهاب، وقيل: الصر الصوت الذي يصحب الريح من شدة هبوبها. والأقوال الثلاثة متلازمة فهو برد شديد محرق يبسه للحرث كما تحرق النار وفيه صوت شديد.

وفي قوله: ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ تنبيه على أن سبب إصابتها لحرثهم هو ظلمهم فهو الذي سلط عليهم الريح المذكورة حتى أهلكت زرعهم وأبيسته، فظلمهم هو الريح التي أهلكت أعمالهم ونفقاتهم وأتلفتها.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [القلم]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (٢٣/٥٤٤) : «قال بعضهم: عني به الليل الأسود، وقال بعضهم: معنى ذلك: فأصبحت جنتهم محترقة سوداء كسواد الليل المظلم البهيم. وقال آخرون: بل معنى ذلك: فأصبحت كأرض تدعى الصريم معروفة بهذا الاسم.

وقال ابن كثير رحمته الله (١٩٦/٨): ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ قال ابن عباس: أي كالليل الأسود. وقال الثوري، والسدي: مثل الزرع إذا حصد، أي هشيئاً يبساً.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ فِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلَّ شَرْبٍ مُّحَضَّرٍ ﴿٢٨﴾ فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَدَاؤِي وَنَذِيرٍ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَنَجْدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾ [القمر]

يمثل تعالى قوم ثمود بعد أن أهلكهم أنهم صاروا كهشيم المحتضر.

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (٥٩٣/٢٢): «وقوله: ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ ﴿٣١﴾ ، يقول تعالى ذكره: فكانوا بهلاكهم بالصيحة بعد نضارتهم أحياء، وحسنهم قبل بوارهم كيبس الشجر الذي حضرته بحظير حضرته بعد حسن نباته، وخضرة ورقه قبل يبسه.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ﴿كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ ، فقال بعضهم: عني بذلك: العظام المحترقة، وكأنهم وجهوا معناه إلى أنه مثل هؤلاء القوم بعد هلاكهم وبلائهم بالشيء الذي أحرقه محرق في حظيرته».

قال ابن كثير رحمته الله (٤٨٠/٧): ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَنَجْدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ أي: فبادوا عن آخرهم لم تبق منهم باقية، وخمدوا وهمدوا كما يهدم يبس الزرع والنبات. قاله غير واحد من المفسرين. والمحتظر - قال السدي -:

هو المرعى بالصحراء حين يبيس وتحرق ونسفته الريح.

وقال ابن زيد: كانت العرب يجعلون حظارًا على الإبل والمواشي من يبيس

الشوك، فهو المراد من قوله: ﴿كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾.

وقال سعيد بن جبير: ﴿كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾: هو التراب المتناثر من الحائط. وهذا

قول غريب، والأول أقوى، والله أعلم.

قلت: الفائدة من المثل: هو قدرة الله وقوته وسخطه على من عصاه أنه جعلهم

كهشيم المحتظر أي الذي لا يسوى شيئاً.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿كَذَبْتَ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا

عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسُ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ

عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ ﴿٢٢﴾﴾ [القمر]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (٥٨٧ / ٢٢): «وقوله: ﴿تَنْزِعُ النَّاسُ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ

نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾ يقول: تقتلع الناس ثم ترمي بهم على رءوسهم، فتندق رقابهم،

وتبين من أجسامهم».

وقال ابن كثير رحمته الله (٤٧٩ / ٧): «وقوله: ﴿تَنْزِعُ النَّاسُ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ

﴿﴾ وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتى تغيبه عن الأبصار، ثم تنكسه

على أم رأسه، فيسقط إلى الأرض، فتثلغ رأسه فيبقى جثة بلا رأس؛ ولهذا قال: ﴿

كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾».

قال السعدي رحمته الله (١/ ٨٢٦) : ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ أي: كأن جثثهم بعد هلاكهم مثل جذوع النخل الخاوي الذي أصابته الريح فسقط على الأرض، فما أهون الخلق على الله إذا عصوا أمره.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ

مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر]

مثل الله تعالى كثرة خروج الناس من قبورهم كأنهم الجراد الكثير المنتشر. والمقصود من المثل أن الله تعالى يحشر الناس إليه أولهم وآخرهم وإنسهم وجنهم فيمشون إلى أرض المحشر كأنهم الجراد المنتشر نسأل الله معافاته ومغفرته.

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (٢٢/ ٥٧٣) : ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ وهي جمع جدث، وهي القبور، وإنما وصف جل ثناؤه بالخشوع الأبصار دون سائر أجسامهم، والمراد به جميع أجسامهم، لأن أثر ذلة كل ذليل، وعزة كل عزيز، تتبين في نظريه دون سائر جسده، فلذلك خص الأبصار بوصفها بالخشوع.

وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: يخرجون من قبورهم كأنهم في انتشارهم وسعيهم إلى موقف الحساب جراد منتشر.

وقال ابن كثير رحمته الله (٧/ ٤٧٦) : ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ وهي: القبور، ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ أي: كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب إجابة للداعي ﴿جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ في الآفاق؛ ولهذا قال: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي: مسرعين

﴿إِلَى الدَّاعِ﴾، لا يخالفون ولا يتأخرون».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿جَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [الفيل]

مثل الله تعالى أصحاب الفيل بعد إهلاكهم كالعصف المأكول.

والمقصود من المثل أن الله تعالى جعلهم عبرة ومثلاً لمن اعتبر، ﴿وَتِلْكَ

الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [٤٣] [العنكبوت]، أنهم لما

أرادوا سوءاً بيت الله الحرام جعلهم الله عبرة وعذبهم وقتلهم شر قتلة، ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾: قال مجاهد: هي شتى متتابعة مجتمعة.

و عن قتادة قال: الأبايل: الكثيرة. فجعلهم الله كالعصف المأكول الذي قد

أكل وهو التبن. قال مجاهد: ورق الحنطة. وقال ابن زيد: ورق البقل، وروي عن قتادة أنه قال: التبن.

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (٦١٥ / ٢٤): «يعني تعالى ذكره: فجعل الله

أصحاب الفيل كزرع أكلته الدواب فرائته، فييس وتفرقت أجزاءه؛ شبه تقطع أوصالهم بالعقوبة التي نزلت بهم، وتفرقت آراب أبدانهم بها، بتفرقت أجزاء الروث، الذي حدث عن أكل الزرع».

قال الشوكاني رحمته الله [في «فتح القدير» (٦٢ / ٨)]: «أي: جعل الله أصحاب الفيل

كورق الزرع إذا أكلته الدواب فرمت به من أسفل، شبه تقطع أوصالهم بتفرقت أجزائه. وقيل المعنى: أنهم صاروا كورق زرع قد أكلت منه الدواب وبقي منه

بقايا، أو أكلت حبه، فبقي بدون حبه. والعصف جمع عصفة، وعصافة، وعصيفة».

باب بيان المثل في قول الله تعالى:

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾

[القارعة]

ومعنى «الفراش المبثوث»: قال قتادة بسند صحيح إليه: هذا الفراش الذي رأيتم يتهافت في النار. وقال ابن زيد بسند صحيح إليه، في قوله: ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾، قال: هذا شَبَّهَ شبهه الله، وكان بعض أهل العربية يقول: معنى ذلك: كغوغاء الجراد، يركب بعضه بعضا، كذلك الناس يومئذ، يجول بعضهم في بعض. والمراد أن يعلم الناس أنهم يوم القيامة يحشرون أولهم وآخرهم وإنسهم وجنهم حتى يكونوا من كثرتهم كالجراد المبثوث الكثير، نسأل الله معافاته ومغفرته.

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (٥٧٤ / ٢٤): «وقوله: ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾، يقول تعالى ذكره: القارعة يوم يكون الناس كالفراش، وهو الذي يتساقط في النار والسراج، ليس ببعوض ولا ذباب، ويعني بالمبثوث: المفرق».

وقال ابن جرير الطبري رحمته الله (٥٧٤ / ٢٤): «﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾»

الْمَنْفُوشِ يقول تعالى ذكره: ويوم تكون الجبال كالصوف المنفوش؛ والعِهْنُ: هو

الألوان من الصوف».

وقال ابن كثير رحمته الله (٤٦٨ / ٨) : ﴿ **القَارِعَةُ** ﴾ من أسماء يوم القيامة، كالحاقة، والطامة، والصاخة، والغاشية، وغير ذلك.

ثم قال معظمًا أمرها ومهولا لشأنها: ﴿ **مَا الْقَارِعَةُ** ﴾؟ ثم فسر ذلك بقوله: ﴿ **يَوْمٌ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ** ﴾ أي: في انتشارهم وتفرقهم، وذهابهم ومجيئهم، من حيرتهم مما هم فيه، كأنهم فراش مبعوث كما قال في الآية الأخرى: ﴿ **كَانَهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ** ﴾ [القمر].

وقوله: ﴿ **وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ** ﴾ يعني: قد صارت كأنها الصوف المنفوش، الذي قد شرع في الذهاب والتمزق.

قال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني، والضحاك، والسدي: «العهن» الصوف».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ **يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا**

بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ ﴾ [الأنبياء]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (٥٤٢ / ١٨) : «قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ**

كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿ **لَا يَخْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ** ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، ﴿ **يَوْمَ نَطْوِي**

السَّمَاءِ ﴿﴾، فيوم صلة من يحزنهم.

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (١٨ / ٥٤٣) : «واختلف أهل التأويل في معنى السجل الذي ذكره الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: هو اسم ملك من الملائكة.

وقال آخرون: السجل: رجل كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: بل هو الصحيفة التي يكتب فيها».

ثم قال ابن جرير الطبري رحمته الله (١٨ / ٥٤٤) : «وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: السجل في هذا الموضع الصحيفة، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب، ولا يعرف لدينا صلى الله عليه وسلم كاتب كان اسمه السجل، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه».

وقال ابن كثير رحمته الله (٥ / ٣٨٢) : «يقول تعالى: هذا كائن يوم القيامة، ﴿﴾ يَوْمَ

نَطَوَى السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴿﴾ كما قال تعالى: ﴿﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿﴾ [الزمر: ٦٧].

عن ابن عمر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين، وتكون السموات بيمينه». رواه البخاري ومسلم.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ۖ مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ۗ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (١٣ / ١٨) : «وهذه الأقوال وإن اختلفت بها ألفاظ قائلها، فمتقاربات المعنى، وذلك أن كل ما أذيب من رصاص أو ذهب أو فضة فقد انتهى حرّه، وأن ما أوقدت عليه من ذلك النار حتى صار كدردي الزيت، فقد انتهى أيضا حرّه».

وقال ابن كثير رحمته الله (١٥٤ / ٥) : «وقوله: ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ قال ابن عباس: «المهل»: ماء غليظ مثل دردي الزيت.

وقال مجاهد: هو كالدم والقيح. وقال عكرمة: هو الشيء الذي انتهى حرّه. وقال آخرون: هو كل شيء أذيب.

وقال قتادة: أذاب ابن مسعود شيئاً من الذهب في أخدود، فلما انماع وأزبد قال: هذا أشبه شيء بالمهل.

وقال الضحاك: ماء جهنم أسود، وهي سوداء وأهلها سود.

وهذه الأقوال ليس شيء منها ينفي الآخر، فإن المهل يجمع هذه الأوصاف الرذيلة كلها، فهو أسود متتن غليظ حار؛ ولهذا قال: ﴿ يَشْوِي الْوُجُوهَ ﴾ أي: من حره، إذا أراد الكافر أن يشربه وقربه من وجهه، شواه حتى يسقط جلد وجهه

فيه».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ (٤٥) ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾

[الدخان] ﴿٤٦﴾

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (٤٣/٢٢): «وقوله: ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ يقول تعالى ذكره: إن شجرة الزقوم التي جعل ثمرتها طعام الكافر في جهنم، كالرصاص أو الفضة، أو ما يذاب في النار إذا أذيب بها، فتناهت حرارته، وشدت حميته في شدة السواد».

وقال ابن كثير رحمته الله (٢٦٠/٧): «وقوله: ﴿كَالْمُهْلِ﴾ قالوا: كعكر الزيت ﴿يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ (٤٥) ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ أي: من حرارتها ورداءتها».

قال البغوي رحمته الله (٢٣٦/٧): «﴿كَالْمُهْلِ﴾ هو دردي الزيت الأسود، ﴿يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ .. ﴿فِي الْبُطُونِ﴾ أي بطون الكفار، ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ كالماء الحار إذا اشتد غليانه».

وقال الشوكاني رحمته الله [في «فتح القدير» (٤٣٢/٦)]: «﴿كَالْمُهْلِ﴾ وهو: درديّ الزيت، وعكر القطران. وقيل: هو النحاس المذاب. وقيل: كل ما يذوب في النار ﴿يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ (٤٥) ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ قرأ الجمهور: ﴿تغلي﴾ بالفوقية على أن الفاعل ضمير يعود إلى الشجرة، والجملة خبر ثانٍ، أو حال، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: تغلي غلياً مثل غلي الحميم، وهو: الماء الشديد الحرارة. وقرأ ابن

كثير، وحفص، وابن محيصن، وورش، عن يعقوب: ﴿يَغْلِي﴾ بالتحية على أن الفاعل ضمير يعود إلى الطعام وهو: في معنى الشجرة، ولا يصح أن يكون الضمير عائداً إلى المهل؛ لأنه مشبه به، وإنما يغلي ما يشبه بالمهل، وقوله: ﴿كَغْلِي أَلْحَمِيمِ﴾ صفة مصدر محذوف، أي: غلياً كغلي الحميم.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ

كَالْعِهْنِ﴾ [المعارج]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (٢٣/٦٠٤): «يقول تعالى ذكره: يوم تكون السماء كالشيء المذاب، وقد بينت معنى المهل فيما مضى بشواهد، واختلاف المختلفين فيه، وذكرنا ما قال فيه السلف، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

ثم روى عن مجاهد، قوله: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ قال: كعكر الزيت. **إسناده صحيح.**

ثم روى عن قتادة، قال: تتحوّل يومئذ لونا آخر إلى الحمرة. **إسناده صحيح.**

وقوله: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ يقول: وتكون الجبال كالصوف.

ثم روى عن مجاهد ﴿كَالْعِهْنِ﴾ قال: كالصوف. **إسناده صحيح.**

ثم روى عن قتادة، في قوله: كالصوف». **إسناده صحيح.**

قال ابن كثير رحمته الله (٨/٢٢٤): «يقول تعالى: العذاب واقع بالكافرين ﴿يَوْمَ

تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿١﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والسدي، وغير واحد، كدرديّ الزيت، ﴿٢﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٣﴾ أي: كالصوف المنفوش، قاله مجاهد، وقتادة، والسدي. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾ [القارعة].

قال الشنقيطي [في «أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن» في تفسير (١٢١/٩)]: «عن ابن مسعود: أنها السماء تتغير أحوالها تشقق بالغمام، ثم تحمر كالمهل، إلى غير ذلك.

إشكال والجواب عليه:

ذكر الله تعالى هنا أن الجبال تكون كالعهن وفي آية أخرى ذكر أنا تكون تراباً وذكر في آيات أخر أنها تسير سيراً، وليس بين هذه الآيات تعارض وقد أوضحها الشنقيطي رحمه الله.

فقال [في «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» (١٢/١)]: «قوله تعالى: ﴿٦﴾ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيْبًا مَّهِيلًا ﴿٧﴾. لا يعارض قوله: ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٩﴾ لأن قوله وكانت الجبال كثيباً مهيلاً تشبيه بليغ والجبال بعد طحنها المنصوص عليه بقوله وبست الجبال بسا تشبه الرمل المتهايل وتشبه أيضاً الصوف المنفوش».

وقال رحمه الله [في «أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن» (٣/٣٤٩)]: «وما ذكره من

تسير الجبال في هذه الآية الكريمة ذكره أيضاً في مواضع أخرى، كقوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ
السَّمَاءُ مَوْرًا ۝١ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠﴾ [الطور]، وقوله: ﴿وَفَتِحَتِ السَّمَاءُ
فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۝﴾ [النبأ]، وقوله: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝﴾ [التكوير: ٣]، وقوله:
﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۝﴾ [النمل: ٨٨] الآية.

ثم ذكر في مواضع أخرى أنه جَلَّ وَعَلَا يفتتها حتى تذهب صلابتها الحجرية وتلين،
فتكون في عدم صلابتها ولينها كالعهن المنفوش، وكالرمل المتهايل، كقوله تعالى:
﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝﴾ [المعارج]، وقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ
كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۝﴾ [القارعة] والعهن: الصوف. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرُجَّفُ
الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَّهِيلًا ۝﴾ [المزمل: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ
الْجِبَالُ بَسًّا ۝﴾ [الواقعة] أي فتتت حتى صارت كالبسبية، وهي دقيق متلوت
بسمن، على أشهر التفسيرات.

ثم ذكر جَلَّ وَعَلَا أنه يجعلها هباءً وسراباً. قال: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ
هَبَاءً مُنْبَثًا ۝٦﴾ [الواقعة]، وقال: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝﴾ [النبأ]، وبين
في موضع آخر أن السراب عبارة عن لا شيء. وهو قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ
كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ۝﴾ [النور: ٣٩] إلى قوله: ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ۝﴾ [النور: ٣٩].

وقوله: ﴿وَيَوْمَ نُسِّرُ الْجِبَالَ ۝﴾ قرأه ابن عامر وابن كثير وأبو عمرو «تسير
الجبال» بالتاء المثناة الفوقية وفتح الياء المشددة منقوله «تسير» مبنياً للمفعول.

﴿ الْجِبَالُ ﴾ بالرفع نائب فاعل، ﴿ نُسِيرُ ﴾ والفاعل المحذوف ضمير يعود إلى الله جَلَّ وَعَلَا. وقرأه باقي السبعة ﴿ نُسِيرُ ﴾ بالنون وكسر الياء المشددة مبنياً للفاعل، و﴿ الْجِبَالُ ﴾ منصوب مفعول به، والنون في قوله ﴿ نُسِيرُ ﴾ للتعظيم.

وقال ﷺ [في «أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن» (٤/١٦٨)]: «واعلم أنه جَلَّ وَعَلَا بين الأحوال التي تصير إليها الجبال يوم القيامة في آيات من كتابه. فبين أنه ينزعها من أماكنها. ويحملها فيدكها دكاً. وذلك في قوله: ﴿ وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ [الحاقة].»

ثم بين أنه يسيرها في الهواء بين السماء والأرض. وذلك في قوله ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ (٨٧) وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿ ٨٨ ﴾ [النمل]، وقوله: ﴿ وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ [الكهف: ٤٧] الآية، وقوله: ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ [التكوير]، وقوله تعالى: ﴿ وَسَيَّرَتِ الْجِبَالَ فكَانَتْ سَرَابًا ﴾ [النبأ]، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿ ١ ﴾ وَتُسِيرُ الْجِبَالَ سِيرًا ﴿ ١٠ ﴾ ﴾ [الطور].

ثم بين أنه يفتتها ويدقها كقوله ﴿ وَبُئِتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴾ [الواقعة] أي فتت حتى صارت كالبيسية، وهي دقيق ملتوت بسمن أو نحوه على القول بذلك، وقوله: ﴿ وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ [الحاقة].

ثم بين أنه يصيرها كالرمل المتهايل، وكالعهن المنفوش؟ وذلك في قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً﴾ [المزمل]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المعارج] في المعارج والقارعة. والعهن: الصوف المصبوغ. ثم بين أنها تصير كالهباء المنبث في قوله: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ۖ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۖ﴾ [الواقعة]، ثم بين أنها تصير سراباً، وذلك في قوله: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ]، وقد بين في موضع آخر: أن السراب لا شيء. وذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩] وبين أنه ينسفها نسفاً في قوله هنا: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ﴾ [طه].

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ۖ﴾ [الرحمن]

قال ابن جرير الطبري رحمه الله (٤٩ / ٢٣): « فإذا انشقت السماء وتفتتت، وذلك يوم القيامة، فكان لونها لون البرذون الورد الأحمر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾: هي اليوم خضراء كما ترون، ولونها يوم القيامة لون آخر.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿كَالدِّهَانِ﴾، فقال بعضهم: معناه كالدهن صافية الحمرة مشرقة.

ثم روى عن مجاهد، قوله: ﴿وَرَدَّةٌ كَالِدِهَانٍ﴾ قال: كالدهن». **إسناده صحيح.**

ثم قال ابن جرير الطبري رحمته الله (٥١/٢٣): «وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عني به الدهن في إشراق لونه، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب».

وقال ابن كثير رحمته الله (٤٩٨/٧): «وقوله: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالِدِهَانٍ﴾ أي: تذوب كما يذوب الدردي والفضة في السبك، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها، فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء، وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَهُمْ

إِلَىٰ نَضَبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج]، وقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ

عَنَّهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق]

أثر قتادة: قال ابن جرير رحمه الله: (٢٨٤/٢٣) حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قَالَ: ثنا يزيدُ،

قَالَ: ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: ٤٣]

أَيُّ مِنَ الْقُبُورِ سِرَاعًا. حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: ثنا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ

قَتَادَةَ مِثْلَهُ». **إسناده صحيح.**

وقال عبد الرزاق رحمه الله في تفسيره: (٣٣٣٣) عن مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ [المعارج: ٤٣] قَالَ: «مِنَ الْقُبُورِ ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ﴾ [المعارج: ٤٣] قَالَ: إِلَىٰ عِلْمٍ ﴿يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣] قَالَ: يُسْرِعُونَ. **إسناده صحيح.**

قال ابن وهب (٥٣): وحدثني نافع بن أبي نعيم القارئ قال: سألت مسلم بن جندب الهذلي عن قول الله: ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ يُوفِضُونَ﴾، قال: إلى غاية. (١)
قال الشنقيطي أضواء البيان (٧/٤٩٨): «جاء موضحاً في آيات آخر من كتاب الله كقوله تعالى ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج] وقوله: ﴿يَنسَلُونَ﴾ (٥١) [يس]، أي يسرعون، وقوله تعالى ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ (٧) [القمر: ٧، ٨] الآية، فقوله: ﴿مُهْطِعِينَ﴾: أي مسرعين مادي أعناقهم ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسَلُونَ﴾ (٥١) [يس].»

قال ابن كثير رحمته الله (٨/٢٣٠): «﴿يُوفِضُونَ﴾ أي: يقومون من القبور إذا دعاهم الرب، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لموقف الحساب، ينهضون سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون.

(١). **إسناده صحيح.** ونافع بن أبي نعيم، أبو رويم. أحد القراء السبعة، ومقرئ أهل المدينة. روى عن الأعرج، وعن نافع، وغيره واحد. ثبت في القراءة. وقد وثقه ابن معين. وقال ابن المديني: كان عندنا لا بأس به.

قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك: إلى علم يسعون. وقال أبو العالية، ويحيى بن أبي كثير: إلى غاية يسعون إليها.

وقال السعدي رحمته الله (ص ٨٨٨): «أي: [كأنهم إلى علم] يؤمون ويسرعون أي: فلا يتمكنون من الاستعصاء للداعي، والالتواء لنداء المنادي، بل يأتون أذلاء مقهورين للقيام بين يدي رب العالمين».

قال ابن جرير الطبري في تفسير آية [ق] (٢٢/٣٨٣): «يقول تعالى ذكره: إنا نحن نحبي الموتى ونميت الأحياء، وإلينا مصير جميعهم يوم القيامة. ﴿تَشَقُّوْا الْأَرْضَ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ يقول جل ثناؤه وإلينا مصيرهم يوم تشقق الأرض، فالיום من صلة مصير.

وقوله: ﴿تَشَقُّوْا الْأَرْضَ عَنْهُمْ﴾ يقول: تصدع الأرض عنهم. وقوله: ﴿سِرَاعًا﴾ ونصبت سراعا على الحال من الهاء والميم في قوله عنهم. والمعنى: يوم تشقق الأرض عنهم فيخرجون منها سراعا، فاكتفى بدلالة قوله: ﴿يَوْمَ تَشَقُّوْا الْأَرْضَ عَنْهُمْ﴾ على ذلك من ذكره.

قوله: ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ يقول: جمعهم ذلك جمع في موقف الحساب، علينا يسير سهل».

قال ابن كثير رحمته الله (٧/٤١١): «وقوله: ﴿يَوْمَ تَشَقُّوْا الْأَرْضَ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾: وذلك أن الله تعالى ينزل مطرًا من السماء تنبت به أجساد الخلائق في قبورها، كما

ينبت الحب في الثرى بالماء، فإذا تكاملت الأجساد أمر الله إسرافيل فينفخ في الصور، وقد أودعت الأرواح في ثقب في الصور، فإذا نفخ إسرافيل فيه خرجت الأرواح تتوهج بين السماء والأرض، فيقول الله، عَزَّجَلَّ: وعزتي وجلالي، لترجعن كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمره، فترجع كل روح إلى جسدها، فتدب فيه كما يدب السم في اللديغ وتنشق الأرض عنهم، فيقومون إلى موقف الحساب سراعا، مبادرين إلى أمر الله، عَزَّجَلَّ، ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٨]، وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٢]، وفي صحيح مسلم عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول من تنشق عنه الأرض». وقوله: ﴿ذٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ أي: تلك إعادة سهلة علينا، يسيرة لدينا، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةٍ بِلَبْسٍ ۝٥٠﴾ [القمر]، وقال تعالى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝٦٨﴾ [لقمان].

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيْرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْرٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَّعْضُكُم بَعْضًا يٰٓحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا

فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيْمٌ ۝١٢﴾ [الحجرات]

وهذا مثل عظيم فيه تمثيل من يأكل لحوم المسلمين - لغير عذر شرعي خال من الحظوظ النفسية والمخاصمات الدنيوية - أنه كمن يأكل لحم الميت من المسلمين، وهذا في غاية الشناعة والأذى نسأل الله العافية.

قال ابن القيم رحمه الله [كما في «شرح الأمثال» (ص ٣٣)]: «وهذا من أحسن القياس التمثيلي فإنه شبه تمزيق عرض الأخ بتمزيق لحمه، ولما كان المغتاب يمزق عرض أخيه في غيبته كان بمنزلة من يقطع لحمه في حال غيبة روحه عنه بالموت، لما كان المغتاب عاجزا عن دفعه بنفسه بكونه غائبا عن ذمه كان بمنزلة الميت الذي يقطع لحمه ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه.

ولما كان مقتضى الأخوة التراحم والتواصل والتناصر فعلق عليها المغتاب ضد مقتضاها من الدم والعيب والطعن كان ذلك نظير تقطيعه لحم أخيه، والأخوة تقتضي حفظه وصيانتته والذب عنه، ولما كان المغتاب متفكها بغيبته وذمه متحليا بذلك شبه بأكل لحم أخيه بعد تقطيعه، ولما كان المغتاب محبا لذلك معجبا به شبه بمن يجب أكل لحم أخيه ميتا، ومحبه لذلك قدر زائد على مجرد أكله، كما أن أكله قدر زائد على تمزيقه.

فتأمل هذا التشبيه والتمثيل وحسن موقعه ومطابقة المعقول فيه للمحسوس، وتأمل إخباره عنهم بكرامة أكل لحم الأخ ميتا، ووصفهم بذلك في آخر الآية، والإنكار عليهم في أولها أن يجب أحدهم ذلك، فكما أن هذا مكروه في طباعهم فكيف يحبون ما هو مثله ونظيره؟ فاحتج عليهم بما كرهوه على ما أحبوه، وشبه لهم ما يحبونه بما هو أكره شيء إليهم وهم أشد شيء نفرة عنه، فلهذا يوجب العقل والفطرة والحكمة أن يكونوا أشد شيء نفرة عما هو نظيره ومشبهه، وبالله التوفيق».

تنبیه: طعن العلماء وأهل الحديث في بعض المسلمين المبتدعة الذين يضلون

الناس واجب على العلماء. وإليك بيان ذلك باختصار من كلام أئمة ثلاثة، وهم الترمذي وابن رجب والنووي، ومن أراد التوسع فلي نظر إلى بيان ذلك من مصادره.

قال النووي رحمته الله [في «رياض الصالحين» (٢٧٩)]: «اعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو ستة أسباب:

الأول: التظلم فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه فيقول ظلمي فلان بكذا.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر فلان يعمل كذا فاجره عنه ونحو ذلك، ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حراما.

الثالث: الاستفتاء، فيقول للمفتي ظلمي أبي أو أخي أو زوجي أو فلان بكذا فهل له ذلك وما طريقي في الخلاص منه وتحصيل حقي ودفع الظلم ونحو ذلك، فهذا جائز للحاجة. ولكن الأحوط والأفضل أن يقول: ما تقول في رجل أو شخص أو زوج كان من أمره كذا فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين، ومع ذلك فالتعيين جائز كما سنذكره في حديث هند إن شاء الله تعالى.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم، وذلك من وجوه:

- منها جرح المجروحين من الرواة والشهود وذلك جائز بإجماع المسلمين بل واجب للحاجة.

- ومنها المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته أو إيداعه أو معاملته أو غير ذلك أو محاورته، ويجب على المشاور أن لا يخفي حاله بل يذكر المساويء التي فيه بنية النصيحة.

- ومنها إذا رأى متفقها يتردد إلى مبتدع أو فاسق يأخذ عنه العلم وخاف أن يتضرر المتفق بذلك فعليه نصيحته ببيان حاله بشرط أن يقصد النصيحة، وهذا مما يغلط فيه، وقد يحمل المتكلم بذلك الحسد ويلبس الشيطان عليه ذلك ويخيل إليه أنه نصيحة فليتنظن لذلك.

- ومنها أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها، إما بالألا يكون صالحا لها وإما بأن يكون فاسقا أو مغفلا ونحو ذلك، فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيله ويولي من يصلح، أو يعلم ذلك منه ليعامله بمقتضى حاله ولا يغتر به وأن يسعى في أن يحثه على الاستقامة أو يستبدل به.

الخامس: أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته، كالمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وأخذ المكس وجباية الأموال ظلما وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه.

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفا بلقب كالأعمش والأعرج والأصم والأعمى والأحول وغيرهم جاز تعريفهم بذلك، ويحرم إطلاقه على جهة التنقيص، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى.

فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء وأكثرها مجمع عليه ودلائلها من الأحاديث

الصحيحة مشهورة فمن ذلك:

عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلا استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أئذنوا له بئس أخو العشيرة»؛ متفق عليه، احتج به البخاري في جواز غيبة أهل الفساد وأهل الريب.
وعنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أظن فلانا وفلانا يعرفان من ديننا شيئا»؛ رواه البخاري، قال الليث بن سعد - أحد رواة هذا الحديث - : هذان الرجلان كانا من المنافقين.

وعن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: إن أبا الجهم ومعاوية خطباني. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو الجهم فلا يضع العصا عن عاتقه»؛ متفق عليه، وفي رواية لمسلم: «وأما أبو الجهم فضراب للنساء»، وهو تفسير لرواية: «لا يضع العصا عن عاتقه»؛ وقيل: معناه كثير الأسفار.

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر أصاب الناس فيه شدة، فقال عبد الله بن أبي: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل. فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك. فأرسل إلى عبد الله بن أبي، فاجتهد يمينه ما فعل، فقالوا: كذب زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فوقع في نفسي مما قالوه شدة حتى أنزل الله تعالى تصديقي: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ...﴾ [المنافقون: ١]، ثم دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم فلووا رؤوسهم؛ متفق عليه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قالت هند امرأة أبي سفيان للنبي صلى الله عليه وسلم: إن أبا سفيان

رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم.
قال: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف» متفق عليه».

وقال الإمام ابن رجب رحمته الله [في «شرح علل الترمذي»]: «فصل في الجرح والتعديل والتفتيش...»:

قال أبو عيسى الترمذي رحمته الله: «وقد عاب بعض من لا يفهم على أصحاب الحديث الكلام في الرجال، وقد وجدنا غير واحد من الأئمة من التابعين قد تكلموا في الرجال، منهم: الحسن البصري وطاوس، قد تكلموا في معبد الجهني، وتكلم سعيد بن جبير في طلق بن حبيب، وتكلم إبراهيم النخعي وعامر الشعبي في الحارث الأعور.

وهكذا روي عن أيوب السختياني، وعبد الله بن عون، وسليمان التيمي، وشعبة بن الحجاج، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والأوزاعي، وعبد الله بن المبارك، ويحيى بن سعيد القطان، ووكيع بن الجراح، وعبد الرحمن بن مهدي، وغيرهم من أهل العلم أنهم تكلموا في الرجال وضعفوا فما حملهم على ذلك عندنا - والله أعلم - إلا النصيحة للمسلمين، لا نظن أنهم أرادوا الطعن على الناس أو الغيبة، إنما أرادوا عندنا أن يبينوا ضعف هؤلاء لكي يعرفوا، لأن بعضهم من الذين ضعفوا كتاب صاحب بدعة، وبعضهم كان متهاً في الحديث، وبعضهم كانوا أصحاب غفلة وكثرة خطأ، فأراد هؤلاء الأئمة أن يبينوا أحوالهم شفقة على الدين وتبييناً، لأن الشهادة في الدين أحق أن يثبت فيها من الشهادة في الحقوق والأموال».

قال ابن رجب: مقصود الترمذي رحمته الله أن يبين أن الكلام في الجرح والتعديل جائز قد أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها، لما فيه من تمييز ما يجب قبوله من السنن مما لا يجوز قبوله.

وقد ظن بعض من لا علم عنده أن ذلك من باب الغيبة، وليس كذلك، فإن ذكر عيب الرجل إذا كان فيه مصلحة ولو كانت خاصة كالقدح في شهادة شاهد الزور جائز بغير نزاع، فما كان فيه مصلحة عامة للمسلمين أولى.

وروى ابن أبي حاتم بإسناده عن بهز بن أسد قال: «لو أن لرجل على رجل دراهم ثم جرده أخذها منه إلا بشاهدين عدلين، فدين الله أحق أن يؤخذ فيه بالعدول».

وكذلك يجوز ذكر العيب إذا كان فيه مصلحة خاصة، كمن يستشير في نكاح أو معاملة، وقد دل عليه قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لفاطمة بنت قيس: «أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه».

وكذلك استشار النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم علياً وأسامة في فراق أهله، لما قال أهل الإفك ما قالوا، ولهذا كان شعبة يقول: «تعالوا حتى نغتاب في الله ساعة». يعني نذكر الجرح والتعديل. وذكر ابن المبارك رجلاً فقال: «يكذب»، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن «تغتاب!»، قال: «اسكت، إذ لم تبين كيف يعرف الحق من الباطل». وكذا روي عن ابن عُلَية أنه قال في الجرح: «إن هذا أمانة ليس بغيبة». وقال أبو زرعة الدمشقي «سمعت أبا مسهر يسأل عن الرجل يغلط ويهم ويصحف؟ فقال: بين أمره. فقلت لأبي مسهر: أترى ذلك غيبة؟ قال: لا».

وروى أحمد بن مروان المالكي ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: جاء أبو تراب النخشي إلى أبي، فجعل أبي يقول: «فلان ضعيف وفلان ثقة»، قال أبو أيوب: «يا شيخ لا تغتب العلماء» قال: فالتفت أبي إليه قال: «ويحك! هذا نصيحة، ليس هذا غيبة».

وقال محمد بن بندار السباك الجرجاني: قلت لأحمد بن حنبل: إنه ليشدد علي أن أقول: فلان ضعيف فلان كذاب؟ قال أحمد: «إذا سكت أنت وسكت أنا فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم».

وقال إسماعيل الخطبي: ثنا عبد الله بن أحمد قلت لأبي: «ما يقول في أصحاب الحديث يأتون الشيخ لعله أن يكون مرجئاً أو شيعياً أو فيه شيء من خلاف السنة، أيسعني أن اسكت عنه أم أحذر عنه؟ فقال أبي: «إن كان يدعو إلى بدعة وهو إمام فيها ويدعو إليها، قال: نعم تحذر عنه». وقد خرج ذلك كله أبو بكر الخطيب في كتابه الكفاية، وغيره من أئمة الحفاظ، وكلام السلف في هذا يطول ذكره جداً.

وذكر الخلال عن الحسن بن علي الاسكافي قال: سألت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل عن معنى الغيبة؟ قال: «ذا لم ترد عيب الرجل»، قلت: فالرجل يقول: «فلان لم يسمع وفلان يخطئ؟» قال: «لو ترك الناس هذا لم يعرف الصحيح من غيره».

وخرّج البيهقي من طريق الحسن بن الربيع قال: قال ابن المبارك: «المعلّى بن هلال هو، إلا أنه إذا جاء الحديث يكذب» فقال له بعض الصوفية: يا أبا عبد الرحمن تغتاب، قال: اسكت إذا لم نبين كيف يعرف الحق من الباطل؟!، أو نحو

هذا.

وما ذكره الترمذي رحمته الله من تكلم الحسن في معبد فقد روى مرحوم بن عبد العزيز عن أبيه وعمه سمعا الحسن يقول: «إياكم ومعبد الجهني فإنه ضال مضل».

ورواه أيضاً حماد بن زيد عن أبي طلحة عن غيلان بن جرير سمعت الحسن يقول: «لا تجالسوا معبداً، فإنه ضال مضل». وروى نعيم بن حماد... عن طاوس أنه قال لمعبد الجهني: أنت الذي تفتري على الله عز وجل؟.

وأما تكلم سعيد بن جبير في طلق: فمن طريق حماد بن زيد عن أيوب قال: رأني سعيد بن جبير مع طلق بن حبيب فقال: «ألم أرك مع طلق! لا تجالس»، وكان طلق رجلاً صالحاً لكنه كان يرمي بالارجاء. وأما تكلم الشعبي والنخعي في الحارث الأعور: فقد ذكره مسلم في مقدمة كتابه من طريق زائدة عن منصور والمغيرة عن إبراهيم «أن الحارث اتهم». ومن طريق مغيرة عن الشعبي قال: «حدثني الحارث الأعور وكان كذاباً».

وروى أبو عيسى الترمذي رحمته الله عن يحيى بن سعيد القطان، قال: سألت سفيان الثوري، وشعبة، ومالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، عن الرجل يكون في تهمة أو ضعف أسكت أو أبين؟ قالوا: بئس.

قال ابن رجب: وقال يعقوب بن شيبة ثنا موسى بن منصور حدثني أبو سلمة الخزاعي قال: سمعت حماد بن سلمة ومالك بن أنس وشريك بن عبد الله يقولون في الرجل يحدث - أي يتدع - : «تخبر بأمره». يعنون ضعفه من قوته، وصدقه من

كذبه. قال وقال شريك: «كيف نعرف الضعيف من القوي إذا لم نخبر به».

وقال الترمذي رحمته الله: حدثنا محمد بن رافع النيسابوري ثنا محمد بن يحيى قال: قيل لأبي بكر بن عياش: «إن ناساً يجلسون ويجلس إليهم الناس ولا يستأهلون؟» قال: فقال أبو بكر: «كل من جلس جلس الناس إليه، وصاحب السنة إذا مات أحيا الله ذكره، والمبتدع لا يذكر».

قال ابن رجب: قال ابن أبي الدنيا: نا أبو صالح المروزي سمعت رافع بن أشرس قال كان يقال: «من عقوبة الكذاب أن لا يقبل صدقه»، وأنا أقول: «من عقوبة الفاسق المبتدع أن لا تذكر محاسنه» اهـ.

وما أحسن ما سمعناه من الشيخ يحيى حفظه الله: «ما يتنكر للجرح والنصيحة إلا مجروح». والأحاديث والآثار في هذا كثيرة لا يتسع لها المقام.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (٣٣) إن يشأ يسكن

الرَّيْحَ فَيُظِلُّنَّ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٣٣) [الشورى]، وقول

الله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (٢٤) فبأيء الآء ريكماتكذبان﴾ (٢٥)

[الرحمن]

ومعناه أن السفن وهي الجوار في البحر كالأعلام وهي الجبال، فهذا من آيات الله الكونية الدالة على قدرته وعظمته سبحانه وتعالى.

قال ابن جرير الطبري رحمته الله: (٢١ / ٥٤٠): «يقول تعالى ذكره: ومن حجج الله أيها الناس عليكم بأنه القادر على كل ما يشاء، وأنه لا يتعدّر عليه فعل شيء

أراد، السفن الجارية في البحر. والجواري: جمع جارية، وهي السائرة في البحر.

ثم روى بسند صحيح مجاهد، قوله: ﴿الْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ﴾ قال: السفن.

وقوله: ﴿كَالْأَعْلَامِ﴾ يعني كالجبال: واحدا علم؛ ومنه قول الشاعر:

كأنه علمٌ في رأسه نار

يعني: جبل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني

الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد:

﴿كَالْأَعْلَامِ﴾ قال: كالجبال. إسناده صحيح.

قال ابن كثير رحمته الله: (٧/٢٠٩): «يقول تعالى: ومن آياته الدالة على قدرته

وسلطانه، تسخيره البحر لتجري فيه الفلك بأمره، وهي الجواري في البحر

كالأعلام، أي: كالجبال، قاله مجاهد، والحسن، والسدي، والضحاك، أي: هي في

البحر كالجبال في البر».

قال السعدي رحمته الله: (١/٧٥٩): «﴿كَالْأَعْلَامِ﴾ وهي الجبال الكبار، التي

سخر لها البحر العجاج، وحفظها من التظام الأمواج، وجعلها تحملكم وتحمل

أمتعتكم الكثيرة إلى البلدان والأقطار البعيدة، وسخر لها من الأسباب ما كان

معوونة على ذلك».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي

سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرصُورٌ﴾ [الصف]

وهذا فيه ندب إلى اجتماع الكلمة والتراس في القتال وفي غيره أيضًا.

قال ابن جرير الطبري (٣٥٧/٢٣) : « يقول: يقاتلون في سبيل الله صفاً مصطفاً، كأنهم في اصطفاؤهم هنالك حيطان مبنية قد رصّ، فأحكم وأتقن، فلا يغادر منه شيئاً، وكان بعضهم يقول: بني بالرصاص».

وقال السعدي رحمته الله (٨٥٨) : «هذا حث من الله لعباده على الجهاد في سبيله وتعليم لهم كيف يصنعون وأنه ينبغي لهم أن يصفوا في الجهاد صفاً متراصاً متساوياً، من غير خلل يقع في الصفوف، وتكون صفوفهم على نظام وترتيب به تحصل المساواة بين المجاهدين والتعاقد وإرهاب العدو وتنشيط بعضهم بعضاً، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حضر القتال، صف أصحابه، ورتبهم في مواقفهم، بحيث لا يحصل اتكال بعضهم على بعض، بل تكون كل طائفة منهم مهمة بمركزها وقائمة بوظيفتها، وبهذه الطريقة تتم الأعمال ويحصل الكمال».

تم الجزء الأول وبليه أمثال السنة إن شاء الله.



المحتويات

- ٣.....مقدمة شيخنا المحدث العلامة
- ٣.....يحيى بن علي الحجوري.....
- ٤.....مُتَّفَعَاتِنَا
- ١٣.....ذكر بعض الكتب في الباب ومن كتب في باب الامثال التشبيهية والحكمية:
- ١٥.....كلمة شكر.....
- ١٦.....الفصل الأول: أمثال القرآن كتاب الله الكريم.....
- باب بيان قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ ﴿٥٤﴾
- ١٦.....[الكهف]
- باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ ﴿٨١﴾
- ١٧.....[الإسراء]
- باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر]
- ١٧.....
- باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ [العنكبوت]
- ١٨.....
- باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَرْنَا نَبِيرًا﴾ ﴿٢١﴾ [الفرقان]
- ٢٠.....
- باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ ﴿٤٨﴾ [الإسراء].....
- ٢٠.....
- باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل]
- ٢١.....
- باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ ﴿١٥﴾ [إبراهيم]
- ٢٢.....
- باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّعًا أَخْرَجَ سَطَكُهُ فَتَازَرَهُ

فَأَسْتَحْلَظُ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يَعْجِبُ الزَّرْعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ [الفتح]..... ٢٣

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [النحل]..... ٢٦

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاذْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج]..... ٢٧

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٦١﴾﴾ [الحج]..... ٣٠

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل]..... ٣٣

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [الروم: ٢٨]..... ٣٦

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٧﴾﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْيَكُ لِمَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ [النحل]..... ٣٩

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلْوُ الْبَعِيدُ ﴿٧٨﴾﴾ [إبراهيم]..... ٤٦

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كَسْرِبٍ يَمِينٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَاقًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ سَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣١﴾ أَوْ كَطَلْمَتٍ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ طَلْمَتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ بَدَهُ لَمْ يَكْدِرْهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور]... ٤٩

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١]..... ٥٧

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْذَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزمر]..... ٥٩

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَزَتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر]..... ٦١

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطُ كَتَيْبِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد]..... ٦٢

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّبِعُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دَعَاءَ وَبِدَاءَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧١﴾﴾ [البقرة]..... ٦٤

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْدَاءُ لِمَنْ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأعراف]..... ٦٦

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٧﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ سَمَاءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا لَكَاذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا يُعَلِّمُوهُنَا مَا لَا آتَانَا إِلَيْنَا كَمَا أَنْتُمْ مُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَمْ نَنْهَاهُمْ لَرَجِمْنَاكُمْ وَلِمَنْ سَأَلَكُمْ عَنْ دِينِهِمْ قَالُوا أَتَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِي

لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِن يُرِدِنِ الرَّحْمَنُ يَضُرِّ لَّا تَعْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي ءَأْمَنُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا عَفَّرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴿يس﴾ ٦٩

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٢٨﴾ [آل عمران] ٧١

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۗ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ [هود] ٧٢

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۗ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۗ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور] ٧٤

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٤٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٤٦﴾ بُيِّتَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۗ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۗ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٧﴾﴾ [إبراهيم] ٨٠

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الجمعة] ٨٥

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْتَكْبَرَ وَخَالَفَ تَابِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَنُكَلِّمَهُ ۗ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ۗ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِيٌّ وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [الأعراف] ٨٧

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٣١﴾ [النحل] ٩١

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ [لقمان] ٩٢

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَّيْسٍ وَحِدَةً ﴿٢٨﴾ [لقمان: ٢٨] ٩٣

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا وَعَلَيْهَا أَنْهَرْنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ [يونس] ٩٩

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا ﴿٤٥﴾ [الكهف] ١٠٢

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ آتَعَلَّمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَكَثِيرٌ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعٌ الْفُرُورِ ﴿٢٠﴾ [الحديد] ١٠٣

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا لَمَتَعٌ ﴿٦١﴾ [الرعد] ١٠٧

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ مَثَلٍ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿٧٧﴾ [الرعد] ١٠٨

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْحَقُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا زَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَبُرَتْ مِنْهُمْ فَسِيفُوتٌ ﴿١٧﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُمِيتُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْأَيْتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ [الحديد] ١١٥

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكُهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يَبْصُرُونَ ﴿١٧﴾ ضُمُّ بِنُورِهِمْ عَنْهُمْ لَمْ يَبْصُرُوا ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَةٌ وَرَعْدٌ وَرِقٌّ يَجْعَلُونَ أَصْنَعُهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الرِّقُّ يَخْفُطُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّا اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ [البقرة] ١١٧

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿المنافقون﴾ ١٢٥

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَيُطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُغْلَمُونَ لَهُمُ الْكُتُوبُ وَأُوتُوا لَهُمْ أَلْحَامًا وَمِنَ اللَّيْلِ يَخُوفُونَ ﴿٢٤﴾ [الطور] ١٢٦

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿فِيهِنَّ فَصْرَتٌ أَلْطَافٌ لِمَنِ يَطِئُنَّ إِسْئُوبُهُمْ وَلَا جُنَّةَ ﴿٥١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ [الرحمن] ١٢٧

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا أَتَقْوُوا عَنَّا الْكُفْرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ [الرعد] ١٢٧

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَاكِرٍ فَأَنهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤﴾ [التوبة] ١٢٨

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ وَيَادُّنُ رَبَّهُ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يُخْرِجُ إِلَّا كَدًّا كَذَلِكِ نَصْرَفُ الْأَيْتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ [الأعراف] ١٣٠

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بِيَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نَّبَقًا لَا سُقْتُهُ لِيَكْرِ لِيكَرٍ مَّتَيْتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف] ١٣٢

١٣٤..... فصل: أمثال المنفقين

وقول الله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبًّا وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ﴾ [البقرة] ١٣٤

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة] ١٤٠

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَانَّتْ أَكْطَلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة] ١٤٢

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبْرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفَاءُ فَاصَابَهَا عَصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة] ١٤٤

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [آل عمران] ١٤٦

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيرِ ﴾ [القلم] ١٤٨

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ وَيَتَّبِعُهُمُ الْغَايِبَةُ أَنَّ الْمَاءَ فَمَسَّهُ مِنْهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُّخَضَّرٌ ﴾ [القمر] ١٤٩

- باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنَذِيرٌ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ نَزَعَ النَّاسُ كَأَنَّهُمْ أَصْحَابُ نُحُلٍ مُّتَفَعِّرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنَذِيرٌ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [القمر] ١٥٠
- باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿حُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾﴾ [القمر] ١٥١
- باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿جَعَلَهُمْ كَهْفٍ مَّاكُولٍ ﴿١٤٠﴾﴾ [الفيل] ١٥٢
- باب بيان المثل في قول الله تعالى: ١٥٣
- ﴿يَوْمٌ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمُنْفُوشِ ﴿١٤١﴾﴾ [القارعة] ١٥٣
- باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأنبياء] ١٥٤
- باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿١٤٦﴾﴾ [الكهف] ١٥٦
- باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿كَأَلْمُهْلِ يَغِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان] ١٥٧
- باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿١٤٧﴾﴾ [المعارج] ١٥٨
- باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾ [الرحمن] ١٦٢
- باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿يَوْمٌ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [المعارج]،
وقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ق] ١٦٣
- باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْبِنُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّكُ بِعَضِّ الظَّنِّ إِنَّهُ وَلَا يُحْسِنُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعضُكُمْ بَعضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَانفُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَجِيمٌ ﴿١٣٠﴾﴾ [الحجرات] ١٦٦

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (٣٢) ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَ رَوَاكِدَ عَالٍ ظَهَرِهِ إِنَّ

فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى]، وقول الله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (٣٤) ﴿فِي آيَةِ آءِ آءِ

رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾ [الرحمن] ١٧٥

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُيُوتٌ

مَرصُوصٌ﴾ [الصف] ١٧٧

